MALAGEA AL MAOUT

ملاجئ الموت

د. طاهر عثمان

وحدة الكتاب
للنشر والتوزيع

ملاجئ الموت

اسم الكتاب: ملاجئ الموت

التأليف: د.طاهر عثمان

الموضوع: رواية

مراجعة وإخراج فني: عمرو سالم سواح

رقم الإيداع: ٢٠١٩/ ٢٣٨٤٨

الترقيم الدولي: 978-977-835-162-0

الناشر: دار زحمة كُتّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر

Facebook

Email za7ma-kotab@hotmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار زحمة كُتّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

ملاجئ الموت

رواية

د.طاهر عثمان

هذه الرواية من وحي خيال الكاتب وأي تشابه في الأحداث أو الأماكن أو الأشخاص هو من قبيل الصدفة.

أحداث هذه الرواية متكررة في بلدان عدة بشخصيات مختلفة وأحداث متشابهة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

داخل الملجأ

حيث المكان مكتظ بالنزلاء

- "هذا المكان أشبه بالمعتقل تحيطه أسوار من الطوب الإسمنتي ثبتت عليها أسلاك شائكة تزيد من ارتفاعها. لا مجال للهروب هنا، لا شيء يحمينا من هذه الشمس الحارقة، الكل يلهث....

أواني الطعام تعكس أشعة الشمس كأنها مرايا قد لمعت للتو.

لا أدري متى سيأتي أحد من هؤلاء كي يطعمنا، لم نأكل شيئًا من أمس، والوجبة الأخيرة كانت غير كافية فقد تضارب عليها الجميع من أجل سد جوعهم.

إذا كان الطعام مكلفًا، فالماء غير مكلف.

لماذا يتركوننا عطشى في هذا الجو الشديد الحرارة؟

إلى متى ستظل أطباق الماء مكفية على وجوهها؟ لماذا لا يأتون؟

لماذا؟ لماذا؟؟؟؟؟

عمي هيكتور

عمي هيكتور!!!

يا عمييي هيكتووووووور"

- هاه هاه ماذا بك يا صغير؟

- هل أنت نائم يا عمي؟!!

- لا يا بني لقد شردت بأفكاري قليلا، أنهكتني حرارة الجو.

- متى سيأتون إلينا يا عمي؟!!

- هل أنت جائع يا صغير؟

- نعم جائع وعاطش وأشعر بتعبٍ شديدٍ وكأنني سأموت قريبًا.

- أنا لا أعلم يا بني لماذا أتى بك حظك العاثر إلى هذا المكان القاسي!

نحن لا نرى في هذا المكان إلا كل أنواع العذاب ولا نشتم سوى رائحة الموت، كل يوم يرفع من بيننا أموات ومنهم من يترك أكثر من يوم حتى ينتفخ جسده وتفوح رائحته.

- أنا ولدت هنا يا عمي هيكتور وقد اعتدت رؤية هذا ولم أختبر حياة أخرى، لكن أنت ماذا جاء بك إلى هنا؟! وكيف تبدو الحياة خارج هذه الأسوار؟

- خارج الأسوار يا ولدي الموت ينتظرك كل يوم، أما هنا فنحن ننتظر الموت كل يوم وهذا أصعب بكثير، لا أدري لماذا يتركنا هؤلاء الناس نتذوق الموت جوعًا وعطشًا ومرضًا؟!!!!

لماذا لا يفتحون لنا هذا الباب الكبير ويتركوننا نفر من هذا الجحيم؟! ألم تلاحظ شيئًا يا بني؟!

- ما هو يا عمي هيكتور؟

maktabbah.blogspot.com

- سأخبرك: هؤلاء الناس لا يهتمون بنظافة المكان ورفع الموتى وإطعامنا وتوفير الماء لنا إلا عندما يكون معهم زائرون.

- نعم صدقت يا عمي. أيضًا لاحظتُ أمي ذلك وسألتني نفس السؤال، لكن لماذا يفعلون ذلك في رأيك يا عمي هيكتور؟!

- اييييييه لا أعلم يا بني ولن أرهق تفكيري في معرفة السبب، دعنا من هذا وأخبرني كيف حال أمك اليوم؟

بحزنٍ أجاب الصغير قائلًا:

- أمي ما زالت تعاني: لقد جاء البيطري آخر مرة قبل أسبوعين وأخبرهم أن قدمها تحتاج إلى عملية وتجبيس، لكنهم رفضوا عندما علموا بتكلفة العملية وتركوها تتألم.

- هوّن عليك يا ولدي ولا تبكِ.

قالها هيكتور ثم أردف متعجبًا:

- لا أعلم هل يمتلك هؤلاء الناس قلوبًا في صدورهم أم حجارة؟ هيا يا بني انهض معي كي نطمئن على أمك وامسح دموعك كي لا تراك وأنت تبكي فيزيد ألمها.

- حاضر يا عمي هيكتور، ولكن دعنا نسير بعيدًا عن جثة الصغير هذا: فأنا لا أتحمل النظر إليه لقد كنا نلعب سويا قبل أن يموت.

- حسنًا يا ولدي فلنبتعد..

* * *

maktabbah.blogspot.com

داخل شقة سامح

في غرفة معيشة شقة يبدو من ديكورها وأثاثها الفاخر ثراء صاحبها.

على أريكة مريحة، يجلس شاب رياضي البنية، أشقر الشعر، يحظى بوسامة أخاذة وقد انهمك في شاشة حاسوبه المحمول الموضوع أمامه ويداه لا تتوقف عن الكتابة على لوحة مفاتيحه للحظة.

فجأة يرن هاتفه الأيفون بنغمته المميزة فيخرجه من انهماكه، يلتقط هاتفه وينظر في شاشته فتعلو وجهه ابتسامة عريضة، يستقبل المكالمة ويفتح مكبر الصوت ثم يتحدث قائلًا:

- ألو.. بنت حلال كنت لسا هاكلمك.

فيجيبه صوت أنثوي:

- عمرك أطول من عمري يا سامح هههه، طمني إيه الأخبار؟

- كله ممتاز، البوست الأخير عامل أحلى شغل برافو عليكي يا منى بجد.

منى: مش قولتلك يا ابني، الناس بتحب البوستات اللي فيها صور مؤثرة، الصور دي بتخلي الناس تتعاطف ويحاولوا يساعدوا بأي طريقة، لكن بوستات الأكل خلص، ومش عارفين ندفع الإيجار، والحاجات دي ما بقتش تاكل مع الناس ولا تقنعهم إنهم يتبرعوا.

سامح: فعلًا يا منى كلامك صح، بس أهم حاجة تأكدي على الدكتور محمد يرد على الناس اللي هيتصلوا عليه يسألوا عن الحالة.

maktabbah.blogspot.com

منى: ما تقلقش أكيد هايرد عليهم ماهو هياخد نسبة محترمة من التبرعات وانت عارف إن الفلوس عنده أهم من أي حاجة تانية، المهم طمني، حد كلمك عايز يساعد أو يحول لنا فلوس على الحساب؟

سامح: أيوه في أكتر من حد باعتلي على الصفحة عايزين رقم الحساب أو مكان العيادة علشان يروحوا يتبرعوا.

منى: طيب تمام كويس أوي، أنت هاتروح الشلتر النهاردة؟

سامح: بصراحة ما اعتقدش، عندي خروجة النهاردة وانتي عارفة المشوار بعيد، بس هاكلم العامل يروح يرمي لهم شكارة عيش ويملى أطباق الميه.

منى: تمام بس أكد عليه تبقى شكارة عيش واحدة بس علشان المرة اللي فاتت حطلهم شكارتين.

سامح: أنا كلمته زعقت له يا منى لما عرفت، بس قال لي إنه عمل كدا علشان لقى الكلاب هاتموت بعضها علشان بيتخانقوا على العيش فاضطر يحط شيكارة تانية علشان يبطلوا خناق.

منى: طيب برضو أكد عليه علشان العيش يكفي لآخر الشهر وحتى لو اتخانقوا وموتوا بعض أهو كويس العدد يخف علينا شوية.

سامح: خلاص تمام.. بقولك صحيح، أمل عاملة إيه في الشغل؟

مني: تمام لسا مكلماها قبل ما اتصل عليك قاعدة على الفيك اكونتس بتاعتها بتعمل لك تعليقات على البوست.

سامح: أووك كويس، طيب معلش يا منى ممكن تكلمي دكتور محمد تشوفي لمْ تبرعات قد إيه النهاردة.

maktabbah.blogspot.com

منى: إمممممم طيب ما تكلمه أنت يا سامح!

سامح: هههههههه ما انتي عارفة إنه بيحب الحنية ومحدش غيرك يقدر يديله الجرعة.

ضحكت منى ضحكة رقيعة عالية.

فرد عليها سامح قائلًا:

- أيوا بقى هههههههه، أوك يلا، سلام يا منى.

ثم وضع سامح هاتفه جانبًا وعاد لانهماكه في شاشة حاسوبه مرة أخرى...

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF
تابعونا على الموقع الرسمي
www.maktabbah.blogspot.com
أو على قناة التيليجرام
t.me/alanbyawardmsr
maktabbah.blogspot.com

داخل الملجأ

في زاوية يجلس وحيدًا منعزلًا عن الجميع، عيناه لا تفارق باب الملجأ الكبير الموصد، رسمت الدموع خطين أسودين على وجهه الأبيض البريء وكأنه لم يتوقف عن البكاء للحظة.

حجمه الصغير وجسده الهزيل ينبئان بأنه لن يتحمل البقاء هنا طويلًا فمنذ أن أتيا به إلى هنا وهو شبه مضرب عن الطعام والشراب لا يفعل شيئا سوى مراقبة الباب.

- لقد لاحظته أول من يجري باتجاه الباب حين يسمع صوت أحدهم قادمًا ليفتحه.

لكن لماذا يهرول تجاه الباب قبلنا جميعا رغم إنه لا يأكل ولا يشرب منذ أن قدم إلى هنا؟!!

نحن نجري إلى الباب جوعى وعطشى طمعًا في نصيب أكبر من هذا الخبز الجاف الذي لا يسمن ولا تسد كسراته القليلة جوعنا.

قال أحدهم:

- ربما هذا المدلل قد ملّ المكان ويريد أن يخرج في نزهة هههههه.

قالها آخر.

maktabbah.blogspot.com

فتعالت ضحكاتهم المقهورة علها تنسيهم ولو للحظات المأساة التي يعيشونها.

وفجأة يقطع ضحكاتهم صوت قادم من خلفهم يقول:

- كم أشفق على هذا المسكين!

ثم أردف:

- لقد كنت قريبا حين سمعت ممن أحضروه يقولون أنهم لم يعودوا يرغبون فيه، وربما ينتظر هو عودتهم... كيف لهؤلاء أن يكونوا بشرًا؟!! تبًا لغدرهم.

خيم الصمت عليهم جميعا وكأن كل منهم سافر بخياله إلى ماضٍ مؤلم، فكلهم تعرضوا لهذا النوع من الغدر.

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF
تابعونا على الموقع الرسمي
www.maktabbah.blogspot.com
أو على قناة التيليجرام
t.me/alanbyawardmsr

في جانبٍ آخر من الملجأ

- هل رأيت كيف ساءت حالة أمي يا عمي هيكتور؟

- نعم يا بني، وضعها لا ينذر بخير؛ على ما يبدو أن الكسر قد تسبب في حدوث غرغرينا في قدمها المصابة.

أظن أنه من الضروري أن يراها البيطري مرة أخرى.

- بالفعل يا عمي فهي ترفض الأكل منذ يومين لقد أحضرت لها بعض كسرات الخبز التي استطعت اقتناصها آخر يوم أطعمونا فيه، لكنها حتى لم تلتفت إليها فالحمى الشديدة تجعلها لا تدرك ما يدور حولها.

- لا تحزن يا بني سوف تكون بخير عندما يأتي البيطري لزيارتنا.

ثم أردف قائلا:

- هل ترى هذا البتر في يدي اليسرى؟

فأجاب الصغير:

- نعم يا عمي أراه.

- لقد كانت حالتي أسوأ بكثير من حالة أمك لكن بعد أن أجروا ليا الجراحة وأعطوني جرعة طويلة من المضاد الحيوي أصبحت أموري بأفضل حال.

- هل تقصد أن أمي ستفقد قدمها؟

سأل الصغير باكيًا.

maktabbah.blogspot.com

- لا تبكِ يا صغيري، على ما يبدو أنه لا يوجد حل آخر بسبب تأخرهم في علاجها، ونحن كما ترى نتأقلم سريعًا مع الإعاقة...

صمت هيكتور قليلًا ثم أردف:

- لعنة الله عليهم؛ كيف يكونون مكرمين وهم أسوأ مَن في الكوكب؟!! لا تقلق حتما سيأتي البيطري قريبا وستكون أمك بخير.

- أتمنى ذلك يا عمي هيكتور.

قالها الصغير، ثم نظر إلى يد هيكتور المبتورة وأردف:

- من الواضح أن حياتك بالخارج كانت مليئة بالأحداث المثيرة يا عمي.

- هاااااااااااااه يا بني لقد كانت مليئة بالفعل ولكن ليس كما تتخيل بالأحداث المثيرة، بل بالاختبارات الصعبة والتجارب القاسية.

- لماذا لا تحكي لي يا عمي ما مررت به؟

- بالطبع سأحكي لك يا بني فالوقت هنا طويل ويمضي بطيئًا، ولكن دعنا ننتظر حتى يأتينا أحدهم بالماء؛ لم أعد قادرًا على الحديث من شدة العطش، أشعر أن حلقي قد تحجر..

* * *

بيت الحكايات
maktabbah.blogspot.com

في العيادة

في أحد أحياء القاهرة الجديدة داخل أحد المولات المغمورة الخاوية، في الدور الأرضي تقبع عيادة بيطرية صغيرة الحجم تظنها عند النظرة الأولى محلا لبيع مستلزمات الحيوانات الأليفة، داخل سوق شعبية، يجاورها من اليمين محل لذبح وبيع الطيور، ومن اليسار محل لبيع الورقيات والمنظفات، يجعلها تبدو وكأنها نبت شيطاني غريب زرع بينهما، ويبدو واضحا أن رخص تكلفة الإيجار هو سبب وجودها في هذا المكان.

جهزت العيادة من الداخل بمجموعة من الرفوف المتهالكة وقد عرضت عليها متفرقات من أكل ومستلزمات الحيوانات الأليفة يبدو من سوء ترتيبها على الرفوف وكمية الغبار المتراكم عليها أنه لم يُبَع منها شيء منذ زمن بعيد.

إلى جانب هذه الرفوف وضع مكتب قديم يجلس خلفه بيطري أجعد الشعر، حنطي اللون، ذو أنف عريضة، تملؤ وجهه بثور حب الشباب، وكأنها حفر نيزكية على سطح كوكب بعيد، مرتديًا معطفا أبيض لم يُغسل منذ تمت صناعته حتى تحول لونه إلى البني الفاتح.

في مقابل البيطري تجلس فتاة في عقدها الثاني وقد وضعت على المكتب صندوقًا مصنوعًا من البلاستيك بداخله قطة تفوح منها رائحة كريهة جدا.

maktabbah.blogspot.com

وجهت حديثها للبيطري قائلة:

- طيب يا دكتور محمد، الربحة دي مش هاتروح؟!

- للأسف مش هاتروح غير إذا نضفنا الجرح.

- طيب يا دكتور ما فيش أي حاجة نعملها مؤقتًا تهدي الربحة شوية وتنشف الجرح؟

- يا سمر، انتي شايفه القطة شرسة ازاي ومش هانقدر نعمل أي حاجة غير لما نخدرها تخدير كلي.

- طيب يا دكتور المبلغ اللي حضرتك طالبه كتير عليا، ما فيش تخفيض علشاني؟! ثم أردفت:

- حضرتك عارف إنها قطة منقذة وانا بأصرف على الحالات دي من جيبي، اعمل لي تخفيض وانا أعمل لك دعاية كويسة في الجروبات.

- أنا عيوني ليكي، بس انتي عارفة إن المخدر سعره غالي وكمان المكان هنا مش هاينفع، فا هاضطر أشوف حد من الزملاء أعملها عنده في عيادته وأكيد هياخد نسبة.

- طيب يا دكتور إيه رأي حضرتك لو نوفر مصاريف عيادة زميلك وتيجي تخدرها وتعملها التنضيف في البيت عندي؟!

- عندك مكان نعملها فيه؟

- أيوا عندي و عندي كمان ترابيزة تنفع للعمليات.

- بس مش هنضايق حد عندك في البيت كدا يا سمر؟

- لا يا دكتور أنا عايشة لوحدي، أنا مطلقة.

maktabbah.blogspot.com

ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة ثم قال:

- أنا آسف يا سمر ما كنتش أعرف، خلاص شوفي إمتى يناسبك وانا أجيلك ونعملها.

- أنا عايزة في أقرب وقت يا دكتور علشان نربحها وكمان مش قادرة أتحمل ربحتها في البيت. قالت سمر.

- خلاص، أنا باقفل العيادة الساعة ١٠ هاقفل واجيلك.

رن هاتف البيطري فقطع حديثهما، تناول هاتفه ثم استأذنها في الرد قائلًا: ثواني يا سمر بعد إذنك.

- ألوو...أهلا وسهلا ازيك يا منى؟

عاملة إيه؟

لأ.. النهاردة ما حدش جالي خالص.

أيوا امبارح فيه حد جالي دفع ٥٠٠. وفيه واحدة ست كبيرة في السن دفعت ١٠٠.

لأ.. بس ٦٠٠ كل اللي معايا.

يا مسهل الحال ربنا يبعت.

مش هاشوفك قريب؟

تمام خلاص أول ما يكملوا ١٠٠٠ هاكلمك.

أوك باي باي

maktabbah.blogspot.com

أنهى د. محمد مكالمته وتوجه إلى سمر قائلا:

- خلاص يا سمر هاجيلك بالليل. بس لما ترجعي بيتك ابعتيلي اللوكيشن على الواتساب.

- ممكن أوصف لك العنوان يا دكتور دا سهل جدا. قالت سمر.

- لأ أحسن ابعتهولي علشان أنا بانسى.

- تمام يا دكتور محمد، خلاص هاستنى حضرتك...

حملت سمر صندوقها بداخله القطة وخرجت من العيادة متمايلة.

ومن خلفها دكتور محمد محدقا وقد تصلبت عيناه على قوامها المتمايل مرددًا وهو يعبث بحبوب وجهه: دي هتبقى ليلة عنب.

* * *

في الشيخ زايد مساءً

بسرعة جنونية تنطلق سيارة حديثة فارهة يقودها سامح في اتجاه بوابات أحد التجمعات السكنية الفاخرة.

أبطأ سرعتها عندما اقترب من بوابة الدخول ثم توقف تماما أمام الحاجز الأمني ليخرج فرد الأمن متحققا من هويته قائلا:

- مساء الخير يا فندم حضرتك ساكن هنا؟

سامح: لأ أنا داخل أزور واحد صاحبي.

فرد الأمن: طيب ممكن رقم الفيلا ورخصة العربية من فضلك؟

سامح: اتفضل الرخصة بس ثواني أسأل لك على رقم الفيلا.

فرد الأمن: براحتك يا فندم بس ممكن تركن على جنب قدام شوية علشان أعدي العربيات اللي وراك؟

سامح: لأ خلاص عرفت الرقم، فيلا A50.

فرد الأمن: حضرتك داخل لمستر أحمد زهران؟

سامح: أيوا

فرد الأمن: اتفضل يا فندم والرخصة حضرتك خدها وانت خارج.

سامح: أوك شكرًا.

أكمل سامح طريقه داخلًا حتى توارت سيارته عن الأنظار بين القصور الفخمة والحدائق الغناء، حتى وصل إلى أحد هذه القصور وقد اصطف أمامه أسطول من السيارات باهظة الثمن.

صف سامح سيارته بجوارها وخرج منها مترجلًا تتهادى إلى أذنيه أصوات موسيقى صاخبة قادمة من داخل القصر...

داخل حديقة القصر وساحاته الواسعة علقت الزينات المضيئة ونصبت كشافات الليزر الضخمة لتعلن مع صوت ال دي جي الصاخب ومدافع الدخان عن حفلة مهيبة من حفلات أولاد الذوات..

تناول سامح كأس شراب من المصفوفة على بار بجانب الحديقة ثم توجه نحو الجمع.

اقترب من أحدهم وربت كتفه من الخلف مرددا:

- مبروك يا زهران.

التفت الشاب متهللا ثم صاح:

- سامح، الله يبارك فيك يا حبيبي أنا مبسوط إنك جيت

ثم تبادلا العناق.

- هي دي حفلة تتفوت يا زهران!.

قال سامح ثم أردف:

- بس جامد القصر الجديد والكمبوند حلو أوي، ربنا يوسع عليكم...

وأكمل سائلا:

- ها طمني صاحبتك هتيجي النهارده؟

أجاب زهران:

- طبعا يا معلم أنا أكدت عليها وانا باعزمها وعرفتها إنك جاي، بس أنا نفسي أفهم إيه اللي في دماغك من ناحيتها؟!

سامح: هو أنت لازم يعني ترمي على الحوار يا أحمد هههه؟

زهران: طبعا يا بني مش أنا السكة بينكم، وانا خايف منك بصراحة.

سامح: يا سيدي أنا هارسيك، بصراحة البت جامدة ومريشة أوي والأهم من كل ده، إنها بتموت في حاجة اسمها كلاب.

زهران: اها دا أنت عارف سكتها مظبوط ومخطط لها، المهم يا سامح ما توقعنيش في مشاكل معاها بسببك.

سامح: لا ما تقلقش أنت برا الموضوع.

ثم أردف:

- بص هناك كدا أهي وصلت، يلا اخلع أنت بقى.

زهران: طيب استنى أستقبلها وأسلم عليها حتى!

سامح: ماشي يا سيدي استقبلها وسلم واخلع على طول.

من بعيد اقتربت الفتاة المقصودة تبدو في أواخر عقدها الثاني هيفاء الطول، ممشوقة القوام، مسدولة الشعر، بارزة النهد، طاغية الأنوثة والجمال.

توقفتْ أمامهما ثم قالت بصوت كله رقة:

- هاي مساء الخير ازيك يا أحمد مبروك على البيت الجديد. ازيك يا سامح مبسوطة إنك جيت.

زهران: ميرسي يا هايدي شرفتيني بزيارتك، بعد إذنكم، أنا شوية هاشوف الناس وارجع لكم تاني، البيت بيتكم.

سامح: أوك يا زهران خد وقتك.

ثم وجه حديثه إلى هايدي قائلا:

-ما كنش ينفع ماجيش وأنا عارف إنك جايه.

فسألته هايدي مستفسرة:

- وإيه خلاك متأكد إني جايه؟

أجاب سامح: إحساسي ثم أردف:

- من آخر مرة شوفتك فيها، وهو قال لي إني هاشوفك تاني وإنك هتيجي حفلة زهران.

ضحكت هايدي ثم أردفت: ماشي يا مستر حساس.

ضحك سامح ثم قال: أنا هاروح أجيب كاس تاني، أجيب لك حاجة تشربيها؟

أجابت هايدي: أوك هات لي أي عصير فريش بليز.

سألها سامح: مش عايزة هارد خالص؟

فأجابت: مش دلوقتي لسا الحفلة في أولها.

بابتسامة عريضة رد سامح: أوك يا قمر.

* * *

في التجمع الثالث

وسط مجموعة من عمارات الأسكان الاجتماعي تقع العمارة رقم ثلاثة عشر بجوارها صف البيطري سيارته القديمة المتهالكة التي أطفأت عوامل الزمن والصدأ لونها النبيتي الغامق، ترجل منها حاملًا في يده حقيبة سوداء من الجلد يبدو من انتفاخها كأنه وضع كل عيادته المتواضعة داخلها.

قفز فوق قطع الحجارة التي وضعها السكان محاولا اجتياز المانع المائي المنتن الذي كونته مياه الصرف الصحي المتجمعة أمام مدخل العمارة دون أن يبتل حذاؤه.

بنجاح وصل إلى المدخل يحدوه الأمل في أن تكون ليلته عنب كما تخيل عندما غادرت سمر عيادته في الصباح.

صعد السلم المحطم الدرجات ودقات قلبه تتصاعد حتى وصل الدور الثالث، ثم توقف وأخرج هاتفه يراجع رسالة العنوان ليتذكر رقم الشقة.

ثم خاطب نفسة قائلًا: أيوا شقة رقم تسعة، هي دي.

اقترب من الباب ووضع إصبعه على الجرس، وصوت دقات قلبة أعلى من صوت الجرس.

- أيوا أيوا طيب جاية حاضر.

صاحت سمر من داخل الشقة فرفع دكتور محمد إصبعه من على الجرس بعد أن نسيه من شدة ارتباكه.

فتحت سمر الباب راسمة على وجهها ابتسامة مصطنعة ترتدي ثيابًا قصيرة ضيقة تبرز مفاتنها وقد أسدلت شعرها وخلعت حجابها الذي كانت ترتديه في العيادة.

ما إن رأى دكتور محمد هذا المنظر حتى سال لعابه وابتلع ريقه وتصلبت عيناه على صدرها نصف العاري.

أخرجته سمر من حالة التسمر هذه بسؤاله:

- العنوان سهل يا دكتور؟

- هاه هاه أيوا سهل جدًا وقريب.

- طيب اتفضل يا دكتور أنا جهزت لك كل حاجة.

قالت سمر.

دلف دكتور محمد إلى داخل المنزل وأغلقت سمر الباب من خلفه.

دارت عيناه في المكان فشاهد صالة صغيرة، أرضيتها من بلاط المزايكو القديم مع دهانات عفا عليها الزمن وإضاءة صفراء تسحب النظر، وضعت داخلها كنبة قديمة متهالكة انتشرت خربشات القطط في كل جزء منها حتى تقطعت وخرج الإسفنج من أحشائها.

في الجهة المقابلة من الكنبة وضعت طاولة طعام قديمة بدون كراسي، وفي نهاية الصالة طرقة صغيرة بها حوض غسيل متسخ تنتهي إلى باب مغلق عن دورة مياة وآخر مفتوح عن مطبخ طعام.

توقفت عيناه عن تفحص المكان وركزت على غرفتين مقفولتين ثم خاطب عقله قائلا: آاااه لا بد أن إحدى هاتين الغرفتين هي غرفة النوم.

قاطعت سمر شروده مرة أخرى قائلة:

- حضرتك تحب تشرب إيه يا دكتور؟

- ها ها لأ شكرا ولا حاجة.

ثم نظر إليها بخبث وقال:

- خلينا نخلص الشغل الأول، وبعدين نشوف هنشرب إيه.

- أوك يا دكتور زي ما تحب.

قالتها سمر بطريقة مثيرة، جعلت خواطره تتأكد، ثم أردفت:

- ثواني هادخل أجيب القطة لحضرتك.

فتحت سمر باب إحدى الغرفتين ثم دخلت وأغلقته خلفها وهي تردد بصوت هامس:

دا أنت هتشرب شرب يا حبيبي هههههه.

* * *

في قصر زهران

على طاولة جانبية بعيدًا عن صخب الموسيقى الغربية ومنصة الرقص، جلس سامح وهايدي وقد وضعت أمامهما زجاجة من الويسكي الفاخر، منهمكان في حديث يبدو ذا أهمية.

قال سامح وقد ارتسم على وجهه حزن مصطنع:

- المشكلة يا هايدي إنها مسؤولية كبيرة جدا؛ بييجي عليا أيام كتير ما بعرفش أنام من كتر منا شايل همهم وما عنديش إمكانية إني حتى أجيب لهم الأكل..

بدا تأثير كلماته واضحا على وجه هايدي الذي غير الحزن ملامحه فسألته قائلة:

- طيب يا سامح مش المفروض إن فيه تبرعات بتجيلكم؟

نظر سامح إلى كأسه، تناولها بيده ورشف منها جرعة وأعادها إلى الطاولة، ثم مد يده ساحبًا سيجارة من علبتها أشعلها وأخذ نفسًا عميقًا ونفث دخانها بقوة ثم نظر إلى هايدي وقال:

- يا هايدي الناس ما بقتش تدفع زي الأول وظروف البلد مأثرة على الكل، كمان أعداد الكلاب البلدي زادت أوي وكل يوم ناس كتير بيكلمونا علشان ننقذ كلاب من الشارع أو يجيبوهم لينا الملجأ.

ثم أردف: بصراحة الفلوس ما بتكفيش الأكل بس لمدة أسبوع واحد، دا غير رواتب العمال ومصاريف النظافة والأدوية؛ بالإضافة إلى إن معظم

الحالات المنقذة بتكون محتاجة عمليات جراحية ودي تكلفتها عالية والدكاترة البيطريين بقوا جزارين.

زادت علامات الحزن على وجه هايدي وامتزجت بالغضب فتناولت رشفة من كأسها ثم سألت سامح مجددًا:

- إنت عندك كام كلب في الملجأ يا سامح؟

أطفأ سامح سيجارته ثم نظر إليها بأسى ثم أجاب: ٢٧٠ كلب.

فغرت هايدي فمها من الذهول ثم قالت:

- بس دا عدد كبير جدا، ازاي بتقدر تصرف عليهم كلهم؟!!

أجاب سامح: الموضوع صعب جدًّا ومرهق جدا، أقل شيكارة أكل سعرها بيعدي ال ٥٠٠ جنيه؛ شوفي بقى أنا باحتاج كام شيكارة كل أسبوع!!

زاد ذهول هايدي ثم قالت: يا خبر أنا ما كنتش متخيلة إن الموضوع مكلف كدا!!

- طيب أقول لك على سر يا هايدي يمكن ما حدش غيرك يعرفه. قال سامح.

- طبعا اتفضل أنا سامعة.

- أنا عارض عربيتي للبيع علشان أعرف أجيبلهم أكل.

قالها سامح وقد أظهر حزنه ومدى تأثره.

صمتت هايدي لفترة طويلة وقد اغرورقت عيناها بالدموع متأثرة بكلام سامح ثم نظرت إليه برقة وقالت: أنت فعلًا إنسان جميل، أنا مبسوطة جدًّا إني عرفتك.

اصطنع سامح نظرة رومانسية حانية وبصوت ناعم قال:

- ميرمي يا هايدي أنا اللي حظي حلو إني عرفتك إنتي أجمل بنت شوفتها في حياتي، وآسف لو كنت ضايقتك بكلامي.

ثم سألها: تيجي نرقص؟

أومأت برأسها بابتسامة خجل موافقة، فأخذ سامح يدها واتجها إلى منصة الرقص...

* * *

داخل شقة سمر

على الطاولة القديمة انتشرت فوضى من قطع القطن المشبعة بالدماء ومجموعة من أدوات الجراحة شديدة الاتساخ كأنها لم تعقم منذ أن صنعت.

وسط هذه الفوضى يرقد قط مسكين يظهر من أنينه المستمر ومحاولاته البائسة للقيام والهرب أنه غير مخدر.

- دكتور، مش كنت تديه مخدر أحسن؟!

قالت سمر ثم أردفت:

- الجرح شكله غويط والقط حرام بيتألم جامد.

أجابها البيطري ببرود: ما تخافيش. امسكي كويس بس قربنا نخلص.

- يا دكتور أنا ماسكاه بكل قوتي وبرضه بيتحرك من الوجع، صعبان عليا جدًا مش قادرة أستحمل، ممكن نخليه يرتاح شوية ونكمل؟

- ما فيش وقت يا سمر وانا قربت أخلص لو سبناه يرتاح شوية مفعول المنوم هيروح وهيفوق ومش هنقدر نمسكه تاني.

- طيب يا دكتور مش كنت إديته بينج علشان حرام حاسس بكل حاجة كدا؟

- يا ستي المخدر ثمنه غالي وانتي عايزاني أراعيكي في السعر، المنوم كويس ودا جرح بيتنضف مش عملية كبيرة يعني! اجمدي بس معايا كدا وامسكي كويس ما تخليهوش يتحرك علشان نخلص..

وسط هذه الفوضى ورائحة الجرح المنتنة وأيادي البيطري العارية الملطخة بالدماء، تتعالى صرخات هذا القط المسكين المتألم بشدة وقد فشلت كل مساعيه للنهوض والهرب من تحت يد هذا الجزار بفعل المنوم وقبضة سمر التي تمسكه بكل ما أوتيت من قوة..

* * *

خارج حديقة قصر زهران

تتهادى أصوات الموسيقى الغربية الهادئة تنبئ عن قرب نهاية الحفل وانفضاضه.

على سيارته يتكئ سامح في مقابل هايدي مشعلا سيجارته متأملا تعبيرات وجهها ببطء بعد شرب كميات كبيرة من الخمور في الحفل منصتا إلى كلامها.

- سامح أنا هاساعدك في موضوع الملجأ لأنك بجد إنسان كويس وبتعمل حاجة محترمة جدا.

قالتها وعيناها قد أبحرتا في عيون سامح لم يرجعهما سوى دخان سيجارته ينفثه ببطء.

حركت نظرتها تلك مشاعر سامح فاعتدل من اتكائه وطرح سيجارته المشتعلة أرضا واقترب منها واحتضنها مطولا حتى دفعته برفق في صدره منهية هذا الحضن.

نظرت هايدي بخجل إلى الأرض ثم قالت:

- أنا لازم أمشي.

أمسك سامح بيدها ونظر إليها و سألها:

- هاشوفك تاني إمتى؟

أفلتت هايدي يدها من قبضته وردت:

- بكرا هاكلمك.

ثم توجهت نحو سيارتها متمايلة بخطوات بطيئة التفتت خلالها مرتين لسامح بابتسامة خجل ثم دلفت إلى سيارتها وانصرفت.

همّ سامح للانطلاق بسيارته إلا أنه فوجئ بأحمد زهران يقف عند بابها:

- إيه يا عم الرومانسي الأحضان والشغل ده؟

قالها أحمد ضاحكًا

- أنت شوفتنا؟!

سأله سامح متعجبًا

أحمد زهران: هههههه طبعا شوفت. ناوي على إيه سامح؟ البنت بنت ناس.

سامح: كل خير يا صاحبي، يعني قرشين ماشي، كام سهرة حلوة ما يضرش، سفرية برا يبقى جميل، هي وظروفها معايا.

أحمد زهران: يا ابني أنت مش هتوب بقى؟!

سامح: ولما أتوب هاعيش منين يا عم الشيخ؟! أنت طلعت لقيت أبوك مظبط لك دنيتك اللهم لا حسد سيبني بقى أظبط دنيتي.

ضحك أحمد زهران ضحكة عالية ثم قال:

- أنت هتندب ياد، ماشي يا كلبجي ظبط دنيتك.

سامح: ما لها الكلاب يا زهران ما هي بتجيب فلوس ومزز.

أحمد زهران: ملهاش يا عم يلا خلي بالك من نفسك وانت سايق.

سامح: ما تقلقش، سلام.

ثم انطلق بسيارته خارجًا من الكومبوند..

داخل صالة سمر

تقف متوترة تنظر إلى قطها اليائس مداعبة شعر رأسه بأصابعها التي طالتها بعض الدماء عليها تهون عليه بعض ما لاقاه على يد البيطري السفاح.

في الطرقة الصغيرة يقف دكتور محمد على حوض الغسيل محاولا تنظيف يده التي تجلطت الدماء عليها.

حولت سمر نظرها إليه بابتسامة صفراء تخفي سخطًا وغيظا وغضبا ثم سألته

- حساب حضرتك كام يا دكتور؟

جفف البيطري يده بمنشفة معلقة بجوار الحوض ثم نظر إلى سمر بتودد وقال:

- اللي تدفعيه يا سمر.

ثم توجه إلى الصالة وجلس على الأريكة الممزقة.

نظرت إليه سمر بإغراء أشعل مشاعره ثم قالت:

- أنا ما اعرفش أقدر مجهودك يا دكتور، حضرتك قولّي الحساب كام.

- طيب خلاص كدا الحساب هيبقى ٥٠٠ جنيه.

- طيب ثواني أدخل القط جوا واغسل إيدي واجي أحاسب حضرتك.

ثم سارت في اتجاه الغرفة وهو يتابعها خلسة ويردد في نفسه: أيوا حاسبيني أنا عايز اتحاسب قوي.

أمضت سمر دقائق داخل الغرفة ثم خرجت مقتربة من البيطري في خطوات استعراضية وقالت بصوت أنثوي مغرٍ:

- مش هتعمل لي خصم يا دكتور؟

قام البيطري من جلسته وتوجه نحو سمر قائلا:

- ما هو دا بعد الخصم يا سمر.

دست سمر يدها في إحدى جيوبها وأخرجتها مطبقة على مبلغ من المال ثم اقترب خطوة أخرى من دكتور محمد ومدت يدها قائلة:

- طيب أنا مش معايا غير المبلغ دا حاليا يا دكتور.

تناول البيطري النقود منها وعدها ثم قال:

- كدا يبقى فاضل عليكي ٣٠٠ جنيه.

ابتسمت سمر وقالت:

- أول ما تتوفر معايا فلوس هاجيبهم لحضرتك.

نظر البيطري إليها بتبجح ثم قال: طيب مش هنشرب حاجة؟

ثم اتبعها بضحكة سخيفة.

تراجعت سمر خطوة إلى الوراء مبتعدة عنه ثم قالت:

- أنا آسفة يا دكتور بس حضرتك أخدت وقت طويل في العملية والوقت اتاخر جدا، وانا عايشة لوحدي واخاف تتأخر أكتر وحد يشوفك وانت نازل من عندي.

نزل كلام سمر على البيطري كالصاعقة بدلت ملامح وجهه إلى صدمة وغضب زادت من قبحه ثم قال: آه آه فهمت.

حمل حقيبته المنتفخة واتجه إلى باب الشقة في خطوات متشنجة، فتحه بعنف ثم ردد: يلا سلام! دون أن يلتفت إليها.

وما إن استقبل السلم نازلًا، حتى بدأ يتمتم: آه يا بنت الكلب، يعني لا ليلة عنب ولا فلوس! يلعن أبو دي شغلانة...

* * *

في الملجأ

اقتربت الشمس من توسط السماء مرسلة لهيبها إلى هذا المكان المقفر، الجميع ملقى بسبب الإجهاد من شدة الجوع والعطش، أصوات لهاثهم تكسر سكون المكان.

فجأة يأتي صوت من خارج الباب الكبير، ينتبه الجميع رافعين رؤوسهم محاولين التنصت لعلّ الصوت يكون حقيقيا وليس تهيؤات الجوع والعطش.

رن الصوت ثانية في أذن الجميع ولكن بشكل أقوى هذه المرة، فهبوا جميعًا واقفين ما عدا أم الصغير التي أغابتها الحمى عن وعيها.

انفتح باب صغير داخل الباب الحديدي الكبير دخل من خلاله منصور شاب صغير أسمر اللون متوسط الطول نحيف وكأن الشمس قد جففته.

نظر بعينه يمينا ويسارا باحثا عن جثث فرأى إحداها قد انتفخت قبل البدء في التحلل.

ضرب كفية بقوة ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله دا كان كويس وبيلعب دا لسا صغير، هم ولاد الكلب دول هيسيبوا المساكين دول يموتوا واحد ورا التاني من الجوع؟

نظر للأسفل فوجد الأبيض الصغير يقف عند قدميه وقد تحول لونه إلى الرمادي من قذارة المكان وزاد نحافة على نحافته.

نظر منصور إليه مشيرا بإصبعه ثم قال: خليك انت كمان كدا قاطع الأكل والشرب لحد ما تموت يا ولد المركوب، لساك فاكر إنهم هيرجعوا ياخدوك، انسى يا فرفور كل واشرب أحسن لك بدل ما تموت.

صعقت كلمات منصور الصغير فسالت دموعه ورجع إلى زاويته وعيناه تطالع باب الملجأ غير مصدق ما سمعه.

دخل منصور إلى غرفة صغيرة بجوار الباب ثم خرج منها حاملًا جوالا فارغا من البلاستيك، تقدم وسط الجموع منتبها لخطواته محاولا تفادي الفضلات المنتشرة في كل مكان حتى وصل إلى جثة الصغير الميت، حاول سد أنفه من قوة الرائحة دون جدوى مرددا: يحرق أبو دي ريحة توب علينا يا رب.

ثم وضع الجثة داخل الجوال وسحبها متأففا والجميع يراقبه في صمت حتى خرج من الباب الصغير وأغلقه خلفه.

* * *

داخل عيادته الصغيرة

يجلس دكتور محمد مداعبًا بثور وجهه شارد البال والفكر ينظر إلى سقف العيادة تتصارع الأفكار في رأسه، تولد الفكرة في رأسه وتنمحي في ثوانٍ قليلة.

بينما هو كذلك دخلت عليه فتاة سمينة جعل قوامها الملفوف بعناية سمنتها مقبولة، ذات وجه أبيض دائري، تغطي رأسها بطرحة سوداء لفتها لفة خليجية تتناسق مع فستانها الطويل وقوامها الممتلئ.

- احم احم ، قالت الفتاة.

انتفض دكتور محمد واقفا:

- أهلا أهلا أستاذة منى اتفضلي.

ثم دار حول مكتبه ممسكًا قطعة قماش بالية مسح بها الكرسي المقابل للمكتب وسحبه لمنى حتى تجلس.

جلست منى في هدوء، رفعت نظرها إلى دكتور محمد ثم قالت بحنية مبالغ فيها:

- ميرسي يا دكتور، واتبعتها بضحكة هادئة.

- أهلا أهلا نورتينا يا ست الكل والله.

- أخبارنا إيه يا دكتور؟، سألت منى.

د.محمد: أخبارنا زي الفل كله تمام يا قمر.

- قمر!

ضحكت منى ساخرة ثم أردفت:

- جمعنا فلوس قد إيه دلوقتي؟

د.محمد: مستعجلة على إيه يا منى؟ تشربي إيه الأول؟

- أشرب كازوزة أنا.

قالتها منى متبوعة بضحكة رقيعة أخرى.

خرج البيطري من العيادة سريعا متعثرا في خطواته، لم يستغرق غير ثوانٍ قليلة حتى عاد حاملًا مشروبًا قدمه لمنى.

- ميرسي يا دكتور تعبتك معايا، قالت منى.

د.محمد: تعبك راحة انتي تؤمري، أخبار سامح إيه؟

منى: بيسلم عليك وبيسألك: هتعمل عملية الكلبة إمتي؟

د.محمد: أنا تحت أمركم، بس لازم سامح يظبط الفلوس شوية؛ العملية هتتكلف كتير وانتوا ما شاء الله مجمعين مبلغ كويس للحالة، أنا لوحدي جمعت ١٤٠٠ جنيه، غير اللي اتحولكم في الحساب وغير اللي سامح جمعه.

منى: ما هو أنت هتاخد نسبتك من ال ١٤٠٠ يا دكتور غير فلوس العملية، وبعدين النهاردة العامل اتصل علينا وقال الكلبة حالتها صعبة ولا بتاكل ولا بتشرب وممكن تموت، وانت عارف إننا لازم نصورها بعد العملية علشان الناس اللي اتبرعت تشوف الشغل ويثقوا فينا ويجيبوا لنا متبرعين غيرهم، هو أنا اللي هافهمك الشغل يا دكتور؟!!

د.محمد: لأ لأ تمام خلاص، شوفوا انتوا عايزيني أعملها إمتي وعرفوني، بس برضو لازم تظبطوا موضوع الفلوس.

منى: هاتكلم مع سامح واخليه يتصل عليك ويرتب معاك كل حاجة، المهم تنجزنا قبل الكلبة ما تموت.

د.محمد: ماشي تمام، اتفضلي يا ستي الفلوس.

تناولتها منى منه، عدتها ثم اقتطعت منها مبلغًا أودعته يد البيطري الذي تناوله بابتسامة رضا وسعادة شديدة ارتسمت على وجهه القبيح.

منى: أنا لازم أمشي يا دكتور علشان عندي مشاوير كتيرة.

د.محمد: هاشوفك يوم العملية؟

منى: أكيد طبعا هكون معاك علشان أصور العملية.

د.محمد: أوك يا قمر، أشوفك على خير.

ضحكت منى بسخرية وأردفت: برضو قمر باي باي يا دكتور..

ثم خرجت من العيادة في خطًى متثاقلة تناسب جسدها الممتلئ وقوامها الملفوف...

* * *

في الملجأ

وقف منصور ملاصقًا لباب الغرفة الصغيرة ينظر إلى الكلاب في ذهول، فقد انقضوا على أطباق الماء والطعام بمنتهى الشراهة، كل يأكل على قدر شراسته، معارك طاحنة أسلحتها الأنياب والمخالب محتدمة في كل مكان، أصوات الزمجرة والنباح تتعالى حتى وصلت السماء، الجوع يحوّل أوفى الكائنات إلى مخلوقات شرسة تفترس بعضها طمعًا في البقاء.

- يا خبر اسود ومهبب الكلاب هتاكل بعضها.

قالها منصور ثم وضع يده في جيبه وأخرج هاتفًا محمولًا قديمًا مسحت أزراره من كثرة الاستعمال، خبأ شاشة الهاتف بإحدى يديه حتى يتمكن من رؤيتها في ضوء الشمس الساطع، بحث عن رقم مسجل عنده، وضع الهاتف على أذنه بالمعكوس حتى يسمع من خلال مكبر الصوت.

انتظر برهة ثم صاح:

- ما بيردش، ما بيردش.

كرر الاتصال ثم صاح مجددا:

- برضو ما بيردش، تلاجيه نايم ابن الدزمة ولا على باله.

دار منصور حول نفسه في حيرة شديدة قائلًا: أعمل إيه دلوقتي؟!.

رفع أحد حاجبيه وكأن فكرة خارقة قد خطرت بباله ثم قال: اتصل بمنى العجلة.

بسرعة البرق بحث عن اسمها على هاتفه ثم ضغط زر الاتصال وأخذ يتمتم: ردي ردي ردي....ردي بقى.

- أيوا

أيوا يا أستاذة منى،

الحجيني الكلاب بتموت بعضها،

العيش مش مكفيهم.

ما أنا كلمته ما هيردش عليا.

ثم انكسر صوته وردد في حسرة:

- حاضر حاضر يا أستاذة منى.

أغلق هاتفه وأخذ يصيح منفعلًا كأنه يصارع السراب: مش هاين عليكم شيكارة عيش بتجيبوها من بتوع الزبالة يا ولاد الكلب، والله لأكلهم واللي يحصل يحصل.

ثم استدار وفتح باب الغرفة الصغيرة وأخرج شيكارة من الخبز الجاف وأخذ يسحب منها ويرمي بكل قوته موصلا كسرات الخبز لأبعد مكان داخل الملجأ حتى يفك اشتباك هؤلاء الجوعى ويتفرقوا.

نثر منصور الشيكارة كاملة كسرة تلو الأخرى كمن يلعب الأطباق الطائرة، هدأت الأصوات الثائرة تدريجيا، تفرق المتشابكون ووضعت الحرب أوزارها أخيرا.

جلس منصور على الأرض غارقا في عرقه منهكا نفسيا وجسديا من هول ما رأى وجهد ما فعل.

جالت عيناه في كامل المكان متابعا الجموع وهي تقضم كسرات الخبز الجاف وأصوات مضغها تملأ الفضاء كأصوات ماكينات عملاقة داخل مصنع كبير.

منهم من ينزف ولا يبالي لنزيفه ومنهم من يأكل راقدًا وآخر قد رفع يده المصابة ووقف على ثلاث، ألم الجوع لا يشعرهم بإصابات الحرب المنفضة..

* * *

في شقة سامح

داخل غرفة نوم ذات أثاث حديث راقٍ، وستائر من أقمشة خفيفة شبه شفافة تسمح لضوء النهار بإنارة الغرفة وسط أجواء باردة بفضل المكيف يرقد سامح على سريره مغطى بلحاف من الفيبر المزخرف بالورود الملونة.

فجأة يهب سامح يقظًا فهناك من وضع يده على جرس الباب ونسي أن يرفعه

- طيب طيب جاي، يووووه ما خلاص هيا الدنيا هتطير!

متأففا مع سيل من السباب غير المفهوم ينطلق من فمه يصل إلى باب الشقة ويفتحه.

ينظر بعينه محاولا فتحها هي الأخرى ثم يردد:

- هو إنتي؟!! منك لله يا شيخة صحتيني من أحلى نومة، ادخلي واقفلي الباب على ما اغسل وشي واجيلك، ملعون أبو اصطباحتك..

دخلت منى ممتاءة من تصرفه وجلست على الأريكة في الصالة.

خرج سامح من الحمام واضعًا منشفة على كتفه، اقترب منها ثم سألها:

- أنا هاعمل قهوة، تطفحي؟

نظرت إليه منى بغضب وأجابت:

- لأ مش هاطفح.

دخل إلى المطبخ ليعد قهوته، فدخلت خلفه بخطاها المتثاقلة وفاجأته بحضنٍ خلفي وهو متوجه نحو الموقد يقلب قهوته ببطء، ثم همست في أذنه قائلة:

- ما لك يا موحة متضايق ليه كدا؟ هو دا ذنبي إني قلقت عليك؟ أنا اتصلت عليك مليون مرة وما بتردش! قولت آجي أطمن عليك تقوم تقابلني المقابلة دي؟!!

ووضعت يدها اليمنى أسفل ظهره فانتفض سامح وأسقط ملعقة القهوة من يده ثم استدار داخل حضنها مقتربا بشفتيه نحو شفتها الممتلئتين هامسًا:

- مش كنتي تقولي كدا من الأول.

ثم انقض على شفتها مقبلًا فشدت بذراعيها عليه حتى اختفى في ثناياها فلم يشعرا بفوران القهوة...

❋ ❋ ❋

في الملجأ

ابتدأت نسمات العصر تلطف الأجواء، الهدوء يسود الملجأ إلا من أنات مصابي المعركة، وصوت الصغير مذكرًا العجوز قائلا:

- ألن تحكي لي يا عمي هيكتور؟ لقد أكلنا وشربنا!

- نعم يا بني بالطبع سأحكي لك ولكن دعني أسألك أولا عن حال أمك، هل أكلت شيئا؟

- لقد حاولتُ يا عمي أن أختطف لها بعض كسرات الخبز لكني لم أستطع من شدة المعارك، وعندما رآني هذا العامل الطيب أحضر بعض الخبز وذهب عند أمي وناداني ثم وضع الخبز عند رأسها فلم تلتفت إليه فأكلت أنا ولم تأكل هي، إنني أخشى عليها الموت لم تأكل منذ ثلاثة أيام.

- لا تخف يا بني سوف يأتون بالبيطري قريبًا وستكون الأمور على ما يرام.

- أتمنى ذلك يا عمي هيكتور، هل حان وقت الحكاية؟! إنني متشوق جدًّا لسماع قصتك.

- نعم يا بني سأحكي لك.

شرد العجوز وذهب بنظره إلى السماء وسكت برهة ثم قال:

- "لقد كان عمري أحد عشر يوما عندما فتحت عيني - هكذا أخبرتني أمي- كنت أول من رأى النور بين إخوتي السبعة، غالبا لا أتذكر هذه الفترة، لكني بدأت إدراك العالم من حولي وأنا بعمر خمسة وثلاثين يومًا تقريبًا.

وكان أول إدراكاتي حين كنت أتضور جوعا أنا وإخوتي بعد أن ذهبت أمي لتبحث عن الطعام فغابت عنا بضع ساعات، حتى إننا بدأنا الصراخ وأخذ كل منا يرضع في قدم أخيه من شدة الجوع.

لقد ولدنا في أرض خالية تتوسط صفين من الفلل الفاخرة يفصل كل صف منهما عن أرضنا شارع كبير تمر منه سيارات مسرعة.

ما زلت أتذكر هذا الشاب الطيب وهو قادمٌ من مسافةٍ بعيدةٍ يتتبع صوت صراخنا محاولًا الوصول إلينا بحثًا في مرتفعات ومنخفضات أرضنا الخالية.

وقتها تملكني خوفٌ مميتٌ وبدأ جسدي ينتفض بشدة حتى إن إخوتي شعروا بخوفي فزاد صراخهم، بحثت بنظري في جميع الاتجاهات عن أمي فلم أجد لها أثرًا.

استمر الشاب في التقدم بحثًا عنا وكلما علا صراخ إخوتي كلما استدل على مكاننا أكثر، وما إن رآنا حتى أسرع الخطى نحونا، فلم أعد أستطيع النظر إليه من شدة الخوف الذي كاد أن ينتزع قلبي من صدري.

دمست رأسي تحت إخوتي وصوت أنفاسي يعلو على صوت صراخهم، بدأت أسمع قرع نعليه بوضوح معلنا اقترابه أكثر وأكثر.

ماذا سيفعل بنا؟!! الأفكار في رأسي تزيدني رعبا.

فجأة توقف الصوت!

ثم سمعته يقول وهو يقف على رؤوسنا: لا حول ولا قوة إلا بالله، أمهم راحت فين وسابتهم؟

بدأت أنفاسي في الهدوء.

استدار عنا ثم أطلق صافرة قوية جعلتنا نرتعد ونختبئ تحت بعضنا البعض.

ثم أشار بيده فرأيت أحد الأشخاص يأتي من بعيد مهرولا وكرشه يتدلي أمامه كأنه سيوقعه على وجهه.

اقترب من الشاب وسأله:

- إيه يا مصطفى لقيتهم؟

- آه يا عم علي، هنا أهم بس أمهم مش معاهم.

أجاب الشاب.

- لسا صغيرين يا أخي، الخوف بس لتكون أمهم خبطتها عربية وماتت.

قالها علي.

وعندها كادت روحي فعلًا أن تذهب حتى سمعت مصطفى يقول:

- لا يا عم علي إن شاء الله ترجع أمهم، حرام لسا صغيرين دول بيتهيألي مايعرفوش ياكلوا لوحدهم.

- لأ مايعرفوش يا مصطفى لسا بيرضعوا وماطلعلهمش سنان.

قالها علي ثم أردف:

- تكونش أمهم الكلبة الرفيعة الضعيفة؟! أكيد هي يا مصطفى، عارف ليه؟

- ليه يا عم علي؟

سأله مصطفى.

علي: لأن الكلبة دي صدرها كبر ودلدل فجأة كدا.

مصطفى: تصدق صح يا عمي علي، بس هي راحت فين وسابتهم كدا؟ أروح أشتري لهم لبن وأشربهم؟

علي: لأ اتقل شوية لو أمهم ما رجعتش ننقلهم عند المحول ونجيب لهم لبن ونرضعهم.

مصطفى: ماشي تمام نراقبهم من بعيد ونشوف هترجع ولا لأ.

* * *

داخل غرفة سامح

استلقى بجوار منى يلهث أنفاسه، وقد مالت برأسها على صدره مبتسمة وقد احمر وجهها كأنه جمرة متقدة، ثم سألته:

- إيه يا عم الجمدان ده؟ أنت واخد إيه؟

- مش واخد حاجة بس امبارح كنت سهران سهرة حلوة وعامل دماغ جامدة، وكويس إنك جيتي، حرام الدماغ دي كانت تروح على الفاضي.

أطلقت منى ضحكة عالية كفتاة ليل محترفة ثم قالت وهي تداعب شعر صدره الأشقر:

- عرفت بقى يا حبيبي إن القلوب عند بعضها.

مد سامح يده إلى طاولة بجانب سريره وتناول علبة سجائره ثم أشعل واحدة، فاختطفتها منى من يده.

فنظر سامح إليها متعجبا وسألها:

- فيه إيه يا بنتي؟

أجابت:

- ما فيش يا حبيبي مبسوطة بس.

ثم أردفت:

- صحيح نسيت أقولك، الواد منصور كلمني.

- عايز إيه الصعيدي؟، سألها سامح.

- كان بيأكل الكلاب وحطلهم شيكارة عيش والكلاب اتخانقوا على الأكل وكان عايز يحطلهم شيكارة كمان وقال لي أنا اتصلت على أستاذ سامح ومابيردش، فأنا قولت له لأ ماتحطش واعمل اللي أستاذ سامح قالك عليه.

ضحك سامح ثم قال:

- عيل ابن كلب غبي صعبان عليه الكلاب علشان من نفس جنسه.

ضحكت منى أيضا عندما سمعت ذلك ثم أردفت.

- أنا عديت على دكتور محمد وانا جايه في الطريق وأخدت منه ١٤٠٠ جنيه واديته منهم ٢٥٠ نسبته، وعايزاك تكلمه علشان فلوس العملية مش عاجباه.

- أنا مش عارف الكلب دا هو كمان عايش الدور على إيه!، دا دكتور على ما تفرج، نهايته هابقى أكلمه واتفاهم معاه. قال سامح.

نفث آخر دخان سيجارته بقوة تنم عن الغضب ثم أطفأها واستدار مواجها منى وسألها قائلا:

- هو الحمار اللي كان متجوزك ده، طلقك ليه؟

أطلقت منى ضحكة أكثر رقاعة وأكثر اتقانا من سابقتها ثم أجابته:

- علشان حمار يا حبيبي.

- طيب تعالى يا ملبن أنت.

قال سامح ثم احتضنها بقوة.

* * *

في الملجأ

- وهل عادت أمكم يا عمي هيكتور؟
سأل الصغير.

- نعم. ابتعد الشخصان بخطوات متسارعة نحو مبنى صغير من دور واحد هو الوحيد وسط أرضنا الخالية. وقبل وصولهم إلى ذلك المبنى ظهرت أمي في الجانب المقابل، وما إن وقعت عيني عليها حتى انتظم نفسي وهدأت ضربات قلبي وكذلك إخوتي هدأ صراخهم وهزوا ذيولهم فرحًا بقدومها.

ما زلت أتذكر شكل أمي وهي تركض مهرولة نحونا يدفعها قلقها وخوفها علينا كما تدفع ريح عاصفة مركبًا صغيرًا في بحر هائج.

نحافة أمي وضعفها جعلاها تتمايل يمينا ويسارا وثديها المتهدل يتأرجح فيعيق حركتها.

لقد أهلكناها فقد كنت وإخوتي نعتصر حلماتها عصرا حتى لا يتبقى في ثديها قطرة حليب واحدة، في الغالب كان حليبها غير كاف لنا ولم نشبع منها يوما، فقد كانت هذه المسكينة تقضي ساعات طويلة في البحث عن الطعام داخل صناديق القمامة، وربما سارت على أقدامها أميالًا عديدة طمعًا في إيجاد بقايا طعام في قمامة أحدهم.

فداخل الأحياء الراقية كالذي ولدنا فيه تكون منافسة شركات جمع القمامة من المستحيلات، فكثير من الأحيان كانت أمي تقضي يومًا كاملًا أو

أكثر بدون أن تأكل شيئا، وقد أثر ذلك كثيرًا على صحتها، شهران من الحمل وخمسة وأربعون يوما من الرضاعة مع الجوع كانت كفيلة بتحويلها إلى هيكل عظمي.

لقد جف حليبها تمامًا قبل موعد فطامنا بمدة طويلة حتى إن رضاعتنا لها كانت تؤلم حلماتها بشدة فتبتعد عنا هاربة.

قاطعه الصغير متأثرًا:

- يا إلهي ولكن كيف ستجدون الطعام على صغركم وضعفكم وهي بالكاد تجده على كبرها وقوتها؟

ضحك العجوز ثم قال:

- يا بني سيأتيك رزقك على ضعفك فمن خلقك لن يتخلى عنك، دعني أكمل لك ما بدأناه.

- تفضل يا عمي وأعتذر عن المقاطعة، قال الصغير.

شرد العجوز مجددا ثم اتبع حديثه:

- بعد أن أرضعتنا أمي وسكتت بطوننا وارتاحت هي من رحلة بحثها عن الطعام، خرجت أنا وإخوتي نلعب حولها وكنا سعيدين للغاية، حتى رأينا هذين الشخصين قادمين في اتجاهنا مرة أخرى ولكن هذه المرة يحمل أحدهما شيئا في يده لم أستطع تحديده بسبب بُعدهما.

عندما اقتربا منا هرعتُ أنا وإخوتي إلى أمنا، والخوف ينتزع قلوبنا مجددا، هبت أمي من نومتها والتفت حولنا كي تطمئننا.

اقتربا منا أكثر حتى صارا أمامنا فنظرت أمي إليهما بطمأنينة وهزت ذيلها في مودة.

نظر أحدهما إلى الآخر وقال:

- مش قولت لك يا مصطفى إنهم ولاد الكلبة الرفيعة.

أجابه الآخر: برافو عليك يا عم علي طلعت معلم.

ثم فتح كيسا يحمله في يده وسكب ما بداخله أمام أمي، فتقدمت أمي نحو الطعام بخطى مترددة، تارة تنظر إلينا وتنظر إلى الطعام تارة أخرى حتى غلبتها غريزة الجوع فتداعت على الطعام تلتهمه في نهم شديد.

انصرف الرجلان مرة أخرى وما إن ابتعدا حتى خرجت أنا وإخوتي وتحلقنا حول أمي لنجرب الطعام لأول مرة في حياتنا..

* * *

داخل العيادة

يجلس البيطري ممسكًا هاتفه شاردًا في شاشته وإصبعه لا يكف عن التحرك على الشاشة. وفجأة انتفض على كرسيه وصاح بأعلى صوته:

- آه يا بنت الكلب خمس تلاف، خمس تلاف؟

ثم صار كمن أصابه مس من الجن، تارة يضرب بيده بقوة على مكتبه البالي وتارة يشد خصلات شعره الأجعد، وتارة أخرى يداعب بثرات وجهه القبيح، ثم يعود مرة أخرى للتركيز في شاشة هاتفه ويسب ويلعن بأبشع الألفاظ، استمر على حالته هذه ما يقرب من نصف الساعة بعدها هدأت ثورته فوضع هاتفه على المكتب ونظر خارج العيادة شاردا متصلبا كصنم لا يتحرك فيه غير أصابعه التي تداعب وجهه، استمر كذلك فترة من الوقت ثم انتبه بعد شروده وأمسك هاتفه، استخرج رقما من القائمة وضغط زر الاتصال، وضع الهاتف على أذنه وصمت برهة ثم تحدث قائلا:

: ممكن أعرف إيه اللي إنتي كاتباه على الفيسبوك ده؟

: على جروب القطط.

: عادي ازاي يعني؟

: هو أنا أخدت منك ٥٠٠٠ جنيه؟

: وأنا مالي إنتي مش لاقيه تأكلي القطط ولا مش لاقيه تاكلي إنتي شخصيا؟!!

: امسحي البوست ده أحسن لك.

: يعني إيه مش هتقدري تمسحيه؟!!

: يا ستي وانا ذنبي إيه تلمي تبرعات على قفايا مش كفاية إنك ما دفعتيش فلوس العملية كاملة.

: حتى لو جيتي دفعتي الباقي برضو البوست لازم يتمسح.

: يعني مش هتمسحيه؟!!

: طيب براحتك بس اسمعي بقى اللي هاقولهولك، لو البوست ما اتمسحش هافضحك في الجروب وهاحط سكرين شوت للمحادثة بعد ما نزلت من عندك لما كنتي بتعتذري علشان دفعتيلي ٢٠٠ جنيه بس.

: لا لا يا ماما ٣٠٠ إيه اللي هاتدفعهم كدا الكلام اختلف، ال ٥٠٠ جنيه دا كان سعر الإنقاذ ومش لاقيه أكل والكلام ده.

: دلوقتي أنا يلزمني منك ٢٥٠٠ جنيه وخلي البوست وهادخل أعلق عليه وأكد كلامك، لكن أي كلام غير كدا هافضحك في الجروبات وهادمر سمعتك ومش هاخلي حد يتبرع لك بجنيه بعد كدا.

: ماليش دعوة بالكلام ده، أخرك بكرا لو ما كنتيش عندي بالفلوس قبل العصر استحملي اللي هيجرالك.

أغلق البيطري هاتفه ثم وضعه جانبا على المكتب وارتسمت على وجهه نظرة انتصار، عاد بعدها للشرود والنظر خارج العيادة.

* * *

داخل شقة سامح

على صوت هاتفه استيقظ سامح من سباته العميق، بعد وقت مجهد وممتع قضاه مع منى. وضع هاتفه على أذنه مغمض العينين ورد بصوت غير مسموع قائلا:

- ألو، لا صاحي.

فتح عينه وزاد من قوة صوته بعدما سمع صوت من يحادثه:

: أنا كويس انتي عاملة إيه؟

: أيوا تعبان شوية من سهرة امبارح.

: طبعا دي كانت من أجمل الحفلات في حياتي، وأجمل ما فيها إنك كنتي معايا.

في هذه اللحظة ابتدأت منى بالصحيان متثائبة بصوت عالٍ، على الفور مد سامح يده وكمم فمها حتى لا تسمع هايدي صوتها.

حاولت منى إزاحة يده بقوة؛ فأشار إليها أن تصمت.

ثم تابع مكالمته مع هايدي.

: إيه يا ستي الخبر الحلو؟

: شذى خالد طبعا عارفها، دي مشهورة جدًّا.

اعتدل سامح جالسا ثم أكمل:

: طبعا طبعا قوليلي إمتى وفين وأنا أجيلكم.

: بصراحة مش عارف أشكرك ازاي، هاقولهالك تاني: إنتي أجمل إنسانة عرفتها في حياتي.

سمعت منى هذا الكلام فاغتاظت وقامت من السرير وشرعت في ارتداء ملابسها.

نظر سامح إليها وأشار بيده ما معناه: لماذا ترتدين ملابسك؟

ثم تابع مع هايدي.

: تمام هاكون في انتظاركم، إنتي أصلا وحشاني وعايز أشوفك.

: أوك باي

أتمت منى ارتداء ملابسها وقصدت باب الغرفة فناداها سامح:

- رايحة فين يا بنتي؟

لم تلتفت إليه واستكملت طريقها خارجه.

ارتدى سامح بعض ملابسه وخرج يتبعها فوجدها جالسة على الأريكة في الصالة.

اقترب سامح منها ثم قال: جرى إيه يا مربرب أنت مش بنادي عليكي.

نظرت إليه بغضب ثم قالت:

- وتنادي عليا ليه؟ ما تروح للست هايدي بتاعتك هي مش وحشاك برضو؟!!

ضحك سامح ضحكة عالية ثم قال:

- يا عبيطة دا شغل ودي واحدة بنت ناس أوي، الفلوس معاها بالكوم، يعني هنطلع منها بأحلى سبوبة على حس الملجأ وكله في الآخر بيصب عندي وعندك. إنتي عارفة إنها كلمت شذى خالد عن الملجأ وهاقابلهم بكرا،

انتي متخيلة لو شذى خالد جت زارت الملجأ ونزلت له فيديو على حسابها وكتبت كلمتين حلوين عليه، هنلم تبرعات قد إيه؟ شذى دي بيتابعها ملايين جوا مصر وبرا ومنهم ناس كتير مهمين في مجال الرفق بالحيوان.

ثم اقترب منها، جلس بجوارها وأمسك بكتفيها ونظر بتأمل في عينيها ثم قال:

- يعني طاقة القدر هتتفتح لنا يا حبيبتي.

ردت منى ببرود:

- يا سلام يا اخويا كُل بعقلي حلاوة بكلامك ده، لما نشوف أخرتها معاك إيه!

قبلها سامح قبلة صغيرة ثم قال:

- طيب ما تقومي تعملي لنا حاجة ناكلها، ولا شاطرة بس تهدي حيلي وتجوعيني وبعدين تسيبيني وتمشي!

- عندك حاجة في التلاجة؟، سألته منى.

- قومي شوفي إيه اللي موجود، أجابها سامح.

قامت منى متكاسلة فربت سامح مؤخرتها الممتلئة وضحك بصوت عالٍ ثم قال: حلاوتك يا ملبن.

قفزت منى وهرولت إلى المطبخ سعيدة.

دلف سامح إلى غرفته، أحضر هاتفه وعاد إلى جلسته على الأريكة مرة أخرى، بحث عن رقم مسجل على هاتفه واتصل به:

وضع الهاتف على أذنه ثم تحدث

: ألو

: ازيك يا دكتور عامل إيه؟

: يا ساتر يا رب ليه كدا؟

: هههههههههة مين بنت الكلب دي؟

: طيب خلاص ما تزعلش نفسك، كدا أنت عملت معاها الصح، أكيد هاتجيلك وتجيبلك الفلوس.

: المهم يا دكتور عايزين نعمل عملية الكلبة في أسرع وقت.

: منى قالت لي وانا عامل حسابي هاظبطك والله بس أهم حاجة نعملها بسرعة

: خلاص هاستنى منك تليفون تأكد عليا الميعاد.

: أوك يا دكتور مع السلامة.

أغلق سامح هاتفه وانفجر في نوبة من الضحك الهيستيري.

ساق منى فضولها لمعرفة ما يحدث، فسألته:

- ما له الدكتور؟

- مغفل.

أجابها سامح ثم انفجر في نوبة ضحك مجددا.

انتظرت منى حتى سكتت ضحكاته ثم سألته مجددا:

- إيه اللي حصل له؟

- واحدة من بتوع القطط استغفلته عمل لها عملية ب ٢٠٠ جنيه ولقاها منزلة بوست على الفيسبوك حاطة فيه صور للقط قبل وبعد العملية وبتقول الدكتور خد ٥٠٠٠ جنيه في العملية.

ضحكت منى عندما سمعت ثم قالت:

- فعلا مغفل.

- بس تصدقي، البت صاحبة القط دي حمارة.

- ليه بتقول كدا؟!، سألته منى متعجبة،

- لأن ٥٠٠٠ جنيه مش رقم منطقي في عملية قط، يعني لو بتطلبهم في عملية كلب ممكن يمشي الموضوع، لكن في عملية قط محدش هيصدقها وممكن ما تلمش حاجه، لو قالت مثلا إن العملية اتكلفت ١٠٠٠ هيبقى الموضوع مقنع وناس كتير هتتبرع.

- كلامك فعلا مظبوط:

قالت منى ثم أردفت:

- أنا قبل ما أعرفك اشتغلت فترة في حوار إنقاذ القطط ده، ومعظم الحريم اللي شغالين فيه ما بيطولوش لأنهم بيتكشفوا بسرعة علشان بيستعجلوا في لم التبرعات وبيطلبوا مبالغ كبيرة على قد ما يقدروا علشان لما يتكشفوا يكونوا ظبطوا أمورهم.

ثم تابعت قائلة:

- ومنهم ناس مش داخلين المجال علشان الفلوس.

- أومال داخلين علشان إيه؟، سألها سامح.

- علشان اللي كنا بنعمله أنا وانت جوا دلوقتي.

وضحكت ضحكة رقيعة مرتفعة.

- يعني ما فيش حد بيشتغلها لوجه الله؟، سألها سامح.

أجابت منى: بصراحة يا حبيبي ما شوفتش حد بيشتغلها لوجه الله غير واحد بس.

- مين هو؟ سألها سامح متشوقًا.

ضحكت ضحكة مبتذلة ثم قالت:

- أنت يا موحة.

ضحك سامح حتى ملأت ضحكاته المكان وقال:

- تصدقي معاكي حق، خلصتي الفطار ولا لسا يا أم دم خفيف؟

* * *

داخل الملجأ

دخل منصور من الباب الصغير ليطمئن على جرحى معركة الطعام، تجول وسط الجموع متفحصا بنظرات مشفقة هذه المخلوقات البائسة التي لا تقل بؤسا عنه، غير أن خروجه ودخوله إلى هذا المكان بحريته هي ميزة لا يملكونها.

توجه نحو أم الصغير المريضة فوجدها غائبة تمامًا عما حولها حتى إنها لم تعد تتألم، جال بعينه في أركان الملجأ باحثا عن صغيرها، فشاهده قادمًا من بعيد تاركًا هيكتور جالسًا بمفرده في زاويته.

اقترب الصغير من منصور وهز ذيله مبديا اطمئنانه للعامل النحيف، فانخفض منصور ومسح بيده على رأس الصغير شفقة عليه بعد يقينه بأن الأم لن تبقى طويلا على قيد الحياة، لاعبه منصور لوقت قصير ثم انصرف خارجا وهو يردد: حسبي الله ونعم الوكيل فيكم يا ولاد الكلب، لو تسيبوهم في الشارع يبقى أحسن لهم من السجن ده.

نظر الصغير إلى أمه بحزن ثم اقترب منها وحاول مداعبتها في رأسها لكن دون جدوى، أصبحت جثة هامدة لا يتحرك منها سوى صدرها صعودا وهبوطا في حركة سريعة تدل على صعوبة التنفس.

ذرف الصغير دموعه وسار عابرا ساحة الملجأ ذاهبا إلى هيكتور علّه يجد عنده من الحكاوي ما ينسيه حالة أمه الحرجة.

- لا تحزن يا بني لعل الله يشفيها قريبا.

قال هيكتور ثم اقترب برأسه من رأس الصغير ليطمئنه وهمس في أذنه قائلا:

- ألا تود الاستماع إلى باقي الحكاية؟

أومأ الصغير برأسه موافقا.

فتابع هيكتور قائلا:

- كان ذلك اليوم الذي أكلنا فيه للمرة الأولى من أسعد الأيام في حياتنا، بعد أن أنهينا طعامنا، لعبنا ونمنا في سعادة دون خوف من أي شيء.

وفي صباح اليوم التالي خرجت أمي كالعادة للبحث عن الطعام بعد أن أرضعتنا قطرات الحليب القليلة المتوفرة في ثديها، وفي أثناء لعبي مع إخوتي رأيتُ الرجلين قادمين من ناحية الغرفة يحملان صندوقًا كبيرًا، اقتربا منا ودقات قلبي تكاد تطير فرحا فالمؤكد أنهما أحضرا لنا طعاما كما فعلا بالأمس، يا ليت أمي لم تغادر للبحث عن الطعام، هكذا قُلت لنفسي.

وضع الرجلان الصندوق أرضا وفجأة حدث ما جعلنا نرتعد خوفا، فقد سمعت أحدهما يقول للآخر: امسك بالجوز يا درش.

انقض علينا الرجلان وأمسك كل واحد منهما اثنين منا بكلتا يديه ووضعونا داخل الصندوق، ولسوء حظي كنت أول من أمسكا به، ورغم خوفي الشديد الذي كاد يوقف قلبي ويزيغ روحي حاولت أن أقفز خارج الصندوق بكل ما تبقى لدي من قوة، لكن أحدهما سبقني وأغلقه علينا ففشلت محاولتي.

علا صراخنا في محبسنا المظلم فكان صراخ إخوتي خوفا، أما صراخي فكان استدعاء لأمي لعلها تأتي وتنقذنا من المستقبل المجهول المأخوذين إليه.

قاطع حكاية هيكتور صوت الباب الصغير يفتح مرة أخرى، دخل منه منصور مجددا يحمل شيئا في يده، اقترب من الأم المريضة ثم جلس بجوار رأسها وأخرج محقنا كبيرا ملأه بالحليب من إناء يحمله، وضع المحقن في فمها وابتدأ في صب الحليب لكنها لم تبتلع منه شيئا، أعاد الكرة مرة أخرى وبجواره هيكتور والصغير يراقبانه ويأملان أن تبتلع الأم ولو قطرة واحدة من الحليب، لكن هذه المحاولة قد باءت بالفشل هي الأخرى، عندها أدرك هيكتور أن الأم في أيامها الأخيرة، فاصطحب الصغير بعيدًا عن الأم وكذلك انصرف منصور بعد فقدانه الأمل في نجدتها.

جلس الصغير باكيا لا تتوقف دموعه وهيكتور بجواره يعتصر قلبه الألم حزنا عليه، فقد مر بتجربة مشابهة من اليتم ويعلم ما سيعانيه الصغير من مرارة وحزن لفقد أمه.

* * *

في التجمع الأول

داخل أحد كافيهات مول شهير يجلس سامح على طاولة منزوية أمام شاشة حاسوبه المحمول، مشغلا سيجارته منشغلا بشيء مهم، وفجأة يسمع صوتا أنثويا يخاطبه قائلا:

- ياااه دا أنت مش هنا خالص.

فينتبه ليجد هايدي تقف أمام طاولته، فأطفأ سيجارته على عجل وهبّ واقفا.

مد يده إليها بالسلام ثم سألها:

- إنتي واقفة من بدري؟

- يعني من شوية، شكلك بتعمل حاجة مهمة، قالت هايدي.

- اتفضلي اتفضلي، قال سامح ثم سحب لها الكرسي المقابل لجلسته.

جلست هايدي ووضعت حقيبتها على جانب الطاولة.

ثم سألته مجددا:

- قولّي بقى كنت مشغول في إيه أوي كدا؟

- ولا حاجة بتابع الصفحة بتاعة الملجأ على الفيسبوك وأرد على تعليقات المتابعين ورسايلهم،

أجابها سامح.

- أها ربنا يقويك أنا شوفت عندك الصفحة عليها عدد متابعين كبير جدًا وأكيد أنت محتاج وقت طويل علشان تقدر ترد عليهم كلهم.

- فعلا والله باتعب جدا، بس سيبك انتي أنا مبسوط أوي إني شوفتك النهاردة. قوليلي، تحبي تشربي إيه؟

صمتت هايدي لبرهة ثم قالت:

- امممممم ممكن أشرب لاتيه.

على الفور أشار سامح للنادل وطلب منه قهوة هايدي الإيطالية المميزة.

شكرته هايدي ثم قالت:

- على فكرة، شذى خالد بتعتذر لك جدًا علشان مقدرتش تيجي معايا.

- يا رب يكون المانع خير بس.

قال سامح.

- احنا كنا جايين سوا بالعربية وبدوب اتحركنا، اتصل عليها حد قالّها فيه كلب عربية خبطاه في المعادي وحالته خطيرة، هي سمعت كدا واتجننت وصممت إني أرجعها لعربيتها وطلبت مني أعتذر لك وقالت إن شاء الله هتحاول تخلص بسرعة وتجيلنا، ولو ما لحقتناش النهاردة هترتب معانا ونتقابل عندك في الملجأ بكرا.

إنت عارف يا سامح إن شذى صاحبتي من زمان، وكنت عارفة إنها بتهتم بالحيوانات وكدا، بس ما كنتش أعرف إنها بتحبهم بالشكل الجنوني

ده، بمجرد ما جالها التليفون اتحولت لواحدة تانية، بجد قلبها طيب جدًا دي مضيعة كل فلوسها عليهم.

"مغفلة". قالها سامح داخل نفسه، ثم أردف:

- فعلا إنسانة رائعة، أنا باسمع عنها ومتابعها من زمان، من وقت ما عملت مظاهرة في التحرير علشان كلب الشارع اللي مات من كتر تعذيب ولدين ليه، وأصرت وقتها إنهم يتحاكموا وفعلا قوّمت محامي ورفع قضية عليهم وصعّدت القضية في برامج التوك شو لحد ما بقت قضية رأي عام والولاد اتحكم عليهم بالسجن في وقت قصير جدا، من وقتها وانا باحترمها جدًا وكان نفسي أتعرف عليها من زمان، واهي الفرصة الحمد لله جت على إيدك.

نظرت هايدي له بفخر ثم قالت:

- سامح أنت بتعمل خير وعمل عظيم جدا، وبصراحة أنت صعبت عليا لما قولتلي انك هتبيع عربيتك علشان تشتري أكل للكلاب، علشان كدا أنا كلمت بابي امبارح وطلبت منه مبلغ علشان أساعد معاك في موضوع الأكل.

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت ظرفًا أبيض منتفخا وقدمته لسامح.

تصنع سامح الدهشة، ثم قال:

- بجد أنا مش مصدقك! انتي ازاي راقية كدا وجميلة كدا.

ثم تناول الظرف من يدها وأكمل، أنا باشكرك جدًا يا هايدي وكلاب الملجأ كمان بتشكرك جدا، وبصراحة مش عارف أعبر لك عن اللي جوايا غير بطريقة واحدة.

ابتسمت هايدي بخجل ثم سألته:

- إيه هي الطريقة؟

في سرعة مد سامح يده وأمسك بيد هايدي برقة ثم رفعها قليلًا ومال بوجهه عليها وقبلها قبلة رقيقة جعلت وجهها يشتعل خجلا.

سحبت هايدي كفها الرقيق برفق ثم قامت من جلستها قائلة:

- معلش يا سامح أنا لازم أمشي علشان عندي حاجة مهمة، هاكلمك بالليل علشان أقولك هنتقابل إمتى بكرا في الملجأ.

ثم مدت يدها بالسلام، ناظرة في عينه وملامح البهجة بادية على وجهها.

قام سامح هو الآخر، وأطال المصافحة فسحبت كفها مرة أخرى، ونظرت إلى الأسفل في خجل وقالت:

- أشوفك بكرة

ثم استدارت خارجة.

ظل سامح على وضعه واقفا يراقبها مرددا:

- يا ابن المحظوظة يا سامح، تييجي العجله بنت الكلب تشوف الحريم، قال وانا عمال أدلع فيها وأقولها يا ملبن يا مربرب هههههه، أما أنا مغفل فعلا.

ثم لفت نظره الظرف على الطاولة فجلس مسرعا والتقط الظرف، تحسسه بيده ووضعه في حقيبة حاسوبه المحمول.

أخرج هاتفه ثم اتصل على البيطري:

- ازيك يا دكتور، عامل إيه؟

- أنا كويس، لازم نعمل العملية النهاردة ضروري، أنا استنيتك تكلمني امبارح.

- لأ مش هينفع، لازم النهاردة حتى لو بالليل متأخر

- وابقى هات معاك شيكارة أكل كبيرة.

- يا سيدي هتاخد ثمنها والله.

- خلاص الساعة ٩ أكيد علشان هاجيب منى معايا، علشان تصور العملية.

- أوك يلا، أشوفك في الملجأ.

أغلق سامح هاتفه وجمع أغراضه ثم غادر الكافيه.

* * *

داخل العيادة

يجلس دكتور محمد وسمر وجها لوجه منهمكين في نقاش حاد دائر بينهما.

د.محمد: ماليش أنا دعوة بالكلام دا يا سمر، أنا هاخد ٢٥٠٠ جنيه.

سمر: طيب هاديهوملك منين؟، أنا ما عرفتش ألم تبرعات غير ٢٠٠٠ بس، يا دكتور خف عليا شوية أنا باصرف على أكتر من ١٥ قطة، وانت كان اتفاقك معايا على ٥٠٠ جنيه.

د.محمد: لأ يا ماما، دا قبل ما اعرف إنك بتستغفليني وبتجمعي الألفات على قفايا.

سمر: طيب يا دكتور تعالى نتفق، نظبط الشغل مع بعض وانا المرة الجاية هاعمل حسابك معايا.

د.محمد: ماظنش هنتفق يا سمر وحتى لو اتفقنا، أنا عايز ألفين ونص الأول وبعدين نتفق.

سمر: دكتور، هاديك ١٠٠٠ جنيه غير ال ٢٠٠ اللي أخدتهم، ومن المرة الجاية شغلنا هيبقى كلة بالنص.

د.محمد: ألفين ونص يا سمر يا إما هادخل أكتب التعليق دلوقتي واحنا قاعدين مع بعض.

أخرجت سمر مبلغا من المال من حقيبتها وناولتها البيطري، أخذها منها، عدها ثم قال:

- دول ألفين، كدا يبقى فاضل عليكي ٣٠٠ جنيه.

- يا ساتر يا دكتور دا أنت ميت على الدنيا. قالت سمر.

ضحك البيطري بصوت مرتفع، ثم أردف:

- بارك الله فيكي يا شيخة سمر، إنتي اللي ميتة على الآخرة علشان كدا شغالة نصابة، هيهيهيه.

اغتاظت سمر من كلامه فردت بغضب:

- كلنا في الهوى سوا يا دكتور، وما تنساش تكتب التعليق.

- تعليق بس! دا أنا هاشهرك، واهو كله بفايدة ليا. قال دكتور محمد، ثم هم بجمع أدواته وعلاجه داخل شنطتة المنفوخة.

سمر: كدا تعجبني يا دكتور، بس لازم نتفق الأول علشان الشغل الجديد.

د.محمد: طبعا طبعا هنتفق بس مش دلوقتي علشان عندي عملية في مكان بعيد ولازم اتحرك دلوقتي علشان ما اتأخرش.

ثم سألها ملمحا:

- إيه رأيك أخلص العملية واجيلك شقتك ونقعد نتفق براحتنا؟؟

فهمت سمر تلميحاته فأجابته قائلة:

- بس يا دكتور إنت عارف إني عايشة لوحدي وبخاف من كلام الجيران لو شافوا حد طالع ولا نازل متأخر.

باندهاش مقرون بالسخرية رد عليها البيطري قائلا:

- لا يا شيخة، عليا أنا الكلام ده؟!! خلاص بقى إحنا هنبقى شركاء، وبعدين يا ستي هاحاول أخلص العملية بدري واجيلك، وبالنسبة للنزول متأخر هنأجله لتاني يوم الصبح، وهاجيب العشا معايا كمان.

صمتت سمر قليلا ثم نطقت:

- بس...

سارعها د.محمد بالرد قائلا:

- مافيش بس.

ثم سألها:

- عايزة تتعشي إيه النهارده؟؟

نظرت سمر إلى قدميها، ثم قالت مدعية الخجل:

- عشينا على ذوقك يا دكتور.

ضحك البيطري ثم قال:

- يبقى نتعشى كباب ضاني.

- خلاص يا دكتور هامستناك.

ثم انصرفت مسرعة تداري فرحتها بهذا الاتفاق المُرضي لها جنسيا وماديا.

حمل البيطري حقيبته وخرج من باب عيادته، ثم توقف فجأة واستدار قائلًا: يا نهار أبيض كنت هانسى شيكارة الأكل، كان سامح هيعملي مناحة ويتحجج علشان ما يدفعش فلوس العملية.

ثم حمل الأكل وخرج من العيادة وأغلقها.

في الملجأ

في زاويتهما جلس هيكتور محاولًا إخراج الصغير من حالة الحزن التي اعترته، فمازحه قائلا:

- ألا تريد أن تعرف لماذا أسموني هيكتور؟؟

أجابه الصغير بصوت كسرة الحزن على أمه:

- بالطبع أريد أن أعرف يا عمي هيكتور كما أنني متشوق لسماع باقي حكايتك، فهي ملاذي الوحيد للفرار من حزني، هلا أكملت لي وأخبرتني ماذا فعل الرجلان بعد أن وضعاكم في الصندوق؟

- سأحكي لك يا بني:

بعد أن ملأ صراخنا الفضاء وضحكات الرجلين لا تنقطع، سارا بنا مسافة قصيرة ثم وضعا الصندوق أرضا، وقام أحدهما بفتحه ثم أخرجنا واحدا تلو الآخر وقد أصبحت رائحتنا نتنة ومنظرنا مقززا، فقد فعلها أخي الأوسط من شدة خوفه داخل الصندوق، ومن سوء حظنا أنه كان يعاني من إسهال شديد هههههه.

ضحك الصغير عندما سمع ذلك، فابتسم هيكتور فرحا بضحكات الصغير، ثم تابع:

- "لقد ظننا بالرجلين سوءا وفي الحقيقة أنهما نقلانا إلى مكان أكثر أمانا بجوار غرفة الكهرباء حيث يعمل أحدهما، لقد قدما لنا الطعام والشراب، وعندما عادت أمي من رحلة بحثها عن الطعام انتبهت إلى مكاننا

الجديد، فأتت إلينا سعيدة مطمئنة مرحبة بالرجلين، مبدية شكرها لهما عن طريق هز ذيلها والتقرب منهما والتمسح فيهما، لدرجة أني سمعت أحدهما يقول للآخر: "سبحان الله يا أخي أمهم فاهمة إننا خايفين عليهم علشان كدا مش خايفة منا ولا بتهيب علينا لما نقربلهم.

لقد كانت هذه أفضل فترات حياتي يا بني، بل الأفضل لأمي وإخوتي، كان الرجلان يوفران لنا الطعام والماء باستمرار، حتى عندما كان يغيب أحدهما كان الآخر يقوم بدوره، كنا نلعب ويركض بعضنا خلف بعض ونداعب أمنا في سعادة غامرة معظم الوقت.

حتى أمي كانت سعيده للغاية فلم تعد تتركنا لتبحث عن الطعام، لقد كان وفيرا.

أمضينا فترة رائعة وكأن الدنيا كانت تربنا وجهها الحسن قبل أن تدير لنا ظهرها.

- لقد أثرت فضولي يا عمي هيكتور، ماذا حدث بعد ذلك؟؟؟

سأله الصغير.

- سأخبرك يا بني - قال هيكتور- لقد كان لمصطفي عامل الكهرباء زملاء يتبادلون معه أيام العمل داخل غرفة التحكم، من بين هؤلاء شخص ملتح عابس الوجه مكروه من زملائه ومكروه أيضا من سكان المنطقة، لدرجة أن أيام دوامه تكون الغرفة كأنها مهجورة لا يراه أحد يجلس أمامها إلا وقتا قصيرا في الصباح وباقي اليوم يكون نائما داخلها و مغلقا بابها، على عكس الأيام التي يداوم فيها مصطفى، فكان بمجرد وصوله تفرد المقاعد

خارج الغرفة وتكتظ بالأصدقاء من حراس الفيلات والسائقين وبعض سكان تلك الفيلات، لقد كان مصطفى شخصا محبوبا من الجميع.

لقد سمعت أمي هذا الملتحي أكثر من مرة يتأفف من وجودنا قرب الغرفة، رغم أننا لم نكن نقترب أبدا من بابها أيام دوامه كما طلبت منا أمي، لا أعلم لماذا كان يحمل لنا كل هذا السخط.

استمر وضعنا على أفضل حال إلى أن قرر هذا الملتحي العابس أن يحولها إلى أسوأ ما يكون، فقد تفاجأنا ذات صباح باقترابه منا حاملا في يده عصا خشبية طويلة ثم توجه نحو أمي وعلى حين غفلة منها انهال عليها ضربا فأصابتها الصدمة بحالة من الشلل، فأسوأ خيالاتها لم تكن تتصور ما فعله هذا السفيه، فقدانها للحركة لفترة أتاح لهذا الملتحي أن يبرحها ضربا وبمنتهى القسوة. لكنها سرعان ما استفاقت من ذهولها وفرت من هول ضرباته هاربة وصرخاتها تهز الكون هزا.

صمت هيكتور قليلا ثم تابع:

- ما زالت هذه الصرخات ترن في أذني إلى الآن، وكيف لي أن أنسى تلك الصرخات التي جعلتنا نتبول لا إراديا أنا وإخوتي جميعا، لقد شعرت يومها بخوف لم أشعر بمثله طيلة أيام حياتي.

أسرعنا الخطى خلف أمي قبل أن ينهال علينا هذا البشري القاسي، فلن يتحمل أحدنا ضربة واحدة مما تعرضت له أمي.

وصلت أمي إلى مكاننا القديم في الأرض الخالية ووقفت تترقب قدومنا خلفها مزعورين واحدا تلو الآخر، دموعها لا تنقطع، وذهولها ما زال

مستمرا تنظر تارة إلى الرجل الملتحي وتارة أخرى إلى السماء، وكأنها تشكو الخليفة لخالقه.

على إثر صرخاتها المدوية خرج بعض السكان المجاورين ومعهم "علي" الذي كان يتناوب إطعامنا مع مصطفى.

لقد هاله الموقف، فقدم متحفزا مستشيطا من الغضب، وبصوت عالٍ وصلنا بوضوح رغم بعد المسافة وجه كلامه للملتحي قائلا:

- إيه يا شيخ بتعمل كدا ليه في الكلاب هم أذوك في إيه؟؟!!

ثم أردف:

- حرام عليك يا أخي أمال بس عاملنا فيها شيخ، وقال الله وقال الرسول.

بصوت أعلى من صوت علي رد عليه الملتحى قائلا:

- الكلاب نجسة يا عم "علي" وانا قولت لمصطفى أكتر من مرة يشيلهم من هنا يرميهم بعيد.

بغضب زائد قال علي:

- هم فين وانت فين يا شيخ؟ إنت شوفتنا حاطينهملك جوا الأوضه؟، دا انت بني آدم ما عندكش رحمة.

أغاظت كلمات علي الملتحي فرد عليه قائلا:

- أيوا يا عم أنا ما عنديش رحمة، دا يخصك في حاجة؟! مش كفاية مش عارف أنام من صوتهم؟!

اقترب علي منه حد التشابك ثم قال:

- آاااه قول كدا بقى، مش عارف تنام من صوتهم.

- بالعكس يا عمي، فأنا متشوق لاستكمالها ولكني لا أريد أن أزيد حزنك بالذكريات المؤلمة.

- لا عليك يا بني فأنا بخير ويسعدني أن أكمل لك ما تشتاق إلى سماعه.

ثم تابع حكايته قائلا:

- "بتنا ليلتنا هذه في حالة من الحزن الشديد، لم تجف دموع أمي، وقد منعتها آلام الضرب من النوم، في الصباح جاء مصطفى لتسلم مناوبته فعلم بما حدث معنا، فنشبت بينه وبين الملتحي مشادة كلامية حادة، كادت أن تصل إلى حد الاشتباك بالأيدي لولا تدخل بعض المارة وحراس الفلل المجاورة الذين تجمعوا على صوت شجارهم المرتفع.

غادر الملتحي، وهدأ مصطفى وأتى إلينا كي يطمئن علينا وعلى أمي التي فرحت برؤيته وتناست أوجاعها. قدم إلينا بعض الطعام والماء ثم رجع إلى محل عمله.

بقينا على هذا الوضع في مكاننا القديم، يطعمنا مصطفى وعلي بغير انتظام. كما كانت تأتينا سيدة لا نعرفها ببعض الطعام من يوم لآخر، ما زلت أتذكرها جيدا، كان لها موعد ثابت بعد العصر، كانت تصف سيارتها قريبا من مكاننا وتنزل منها مترجلة حاملة في يدها كيسا من الطعام، لكنه نوع آخر من الطعام غير الذي كان يقدمه لنا مصطفى وعلي، كان طعاما جافا مخصصا لنا طيب المذاق له رائحة شهية وقوية لدرجة أننا كنا نشتم رائحته قبل أن تنزل من سيارتها. ومع أن رائحته كانت مصدر سعادة لنا، إلا أنها كانت السبب في تجمع أصدقائنا وجيراننا في المنطقة، فتتوزع كمية

الطعام على عدد أكبر من الكلاب. ولكن للأمانة كانت السيدة تضع لي ولإخوتي الطعام أولا وتجلس بجوارنا حتى تبعد عن الكلاب الكبيرة إلى أن ننتهي من الأكل ونشبع، فهي تعلم أننا لن نستطيع مجاراتهم في سرعة التهامهم لهذا الأكل اللذيذ. ثم تزيد بعض الأكل على ما تبقى منا وتنصرف تاركة أمي والآخرين يتشاركون الطعام.

بالفعل كانت أياما جيدة، وكما كانت هذه أياما جيدة، فقد كانت هناك أيام كثيرة سيئة لم نجد فيها حتى من يسقينا الماء، لذلك كنا نضطر إلى أن نتحرك بحثا عن الطعام والشراب كما كانت تفعل أمي.

ومن هذه الأيام، يوم لا أنساه مهما حاولت ذلك. في هذا اليوم ذهبت أمي في رحلتها للبحث عن الطعام، فغابت واشتد جوعنا فما كان لنا بد غير التحرك للبحث عن قوتنا بجوار صناديق القمامة وبالقرب من أسوار الفلل والبيوت، وفجأة وأنا أبحث هنا وهناك شمت أنفي رائحة طعام ذكية كالتي كانت تحضرها لنا السيدة. جالت عيني يمينا ويسارا بحثا عن مصدر الطعام فنظرت داخل إحدى الفلل من خلال سورها الحديدي فوجدت كلبا من نوع الهاسكي الأجنبي يبدو من مظهره المرتب وشعره النظيف أن أصحاب الفيلا قد أحضروه من الخارج، أمامه وضع حارس الفيلا طبقا كبير الحجم ممتلئا عن آخره بهذا الطعام الشهي.

سال لعابي بمجرد أن نظرت إلى الطبق، فلم أكن تناولت شيئا من الليل، رائحة الطعام تجذبني إليه لا إراديا وكأنني أسير مغمض العينين. اقتربت من سور الفيلا في هدوء.

عندما رآني هذا الهاسكي نظر إليّ بطيبة وهز لي ذيله. فابتهجت فرحا واقتربت أكثر وأكثر من السور الحديدي، وهو مستمر في نظراته الطيبة وحركات جسده وكأنه يدعوني لتناول الطعام معه.

تجرأت أكثر وتقدمت، حتى استطعت النفاذ من بين حديد السور واقتربت من طبق الأكل مبادلا الهاسكي تعابير الحب والسعادة، تشممت الأكل منتشيا برائحته ثم مددت فمي في الطبق محاولا التقاط بعض حبوب الطعام، فغافلني الهاسكي وعضني بقوة في ظهري عضة كادت أن تطبق ضلوعي وتقسم عمودي الفقري نصفين. لم أستطع الصراخ وهو يمسكني بفكه القوي، فقد انقطعت أنفاسي من الفزع ومن قضمته الثقيلة على صدري، هز رأسه يمينا ويسارا بقوة حتى أطاح بي خارج السور الحديدي.

ارتطمت بالأرض بشدة فعاد إليّ نفسي المفقود، تنفست ثم تنفست ثم بدأت في الصراخ والهرب بعيدا عن هذا الأجنبي المخادع.

وبختني أمي يومها وحذرتني من الاقتراب منه مجددا، وظللت أعاني لأسبوعين أو أكثر من آلام عضته القوية، والتي كانت أول درس قاس لي من الحياة".

قاطع هيكتور مرة أخرى دخول منصور مجددا من الباب الصغير مسرعا ثم أغلق الباب خلفه.

هب الجميع وقوفا متأملين أن يعطهم وجبة من كسرات الخبز الجاف أو يملأ لهم أطباق الماء الفارغة.

بالفعل تحرك منصور بخفة وسرعة، جمع الأطباق الفارغة وقام بتنظيفها وملئها بالماء ثم أعاد توزيعها وسط الجموع التي قامت تتحلق حول الأطباق تشرب بنهم حتى تروي ظمأها.

انتظر منصور حتى فرغوا من شربهم ثم أعاد ملء الأطباق التي فرغت في تصرف جديد لم يقم به من قبل.

انتهى من إعادة ملء الأطباق ثم توجه إلى الباب ممسكا بذيل جثة أحدهم يجرها خلفه.

نظر هيكتور إلى الجثة المسحوبة ثم تنهد حزنا وقال:

"يبدو أننا سنخرج جميعا من هنا على هذا النحو، منا من سيموت جوعا ومنا من سيموت مرضا ومنا من سيموت قهرا. لا أمل في الخروج من هنا أحياء".

ما قاله هيكتور، يشعر به جميع الموجودين، نظرات اليأس وفقدان الأمل واضحة في كل العيون، رائحة الموت تملأ المكان.

انفتح الباب الصغير مرة أخرى، ودخل منصور لكنه ليس بمفرده هذه المرة، يتبعه سامح ومنى ودكتورمحمد بحقيبته المنتفخة.

دخل الجميع وأغلق منصور الباب ثم هرول ليفتح باب الغرفة الصغيرة بجوار البوابة الحديدية.

نظر سامح أسفل منه ثم صاح بصوت مرتفع:

- منصور، منصور، إيه اللي وسخ الكلب الصغير دا كدا؟؟

فأجابه منصور قائلا:

- يا أستاذ سامح الكلب دا من ساعة ما جه هنا لا بياكل ولا بيشرب وما ينامش غير على شخاخ الكلاب التانية، كأنه أهبل مهوش فاهم حاجة.

ثم أردف:

وكل يوم بحطله أكل وميه قدامه لوحده وميرضاش ياكل ولا يشرب لحد ما خس واتمأت وانا خايف عليه يموت.

- طيب إبقى حميه واربطه في الشمس يا صعيدي لحد ما نشوفله صرفه، وهات الكلبة اللي رجلها هتتقطع جوا بسرعة.

قال سامح.

- حاضر يا أستاذ سامح.

قالها منصور ثم انطلق مسرعا نحو الأم المريضة فحملها متأففا من رائحة جرحها شديد التقرح وساربها إلى الغرفة الصغيرة.

قام هيكتور والصغير مفزوعين وسارا خلف منصور حتى وصلوا باب الغرفة، فدخل منصور حاملا الأم المريضة وأغلق باب الغرفة خلفه، وانتظر الآخران خارجها.

* * *

داخل الغرفة

وضعت الأم المريضة على طاولة خشبية متسخة، اقترب البيطري منها وعاين الرجل المقروحة ثم قال:

- دي محتاجة بتر يا سامح، الغرغرينة ضربت في الرجل كلها، وبعدين الكلبة مش هتتحمل البنج، حرارتها نازلة ونفسها بطيء وضربات قلبها ضعيفة أوي.

- إتصرف يا دكتور. قال سامح.

- طبعا هتصرف بس لو أخدت مخدر هتموت.

سامح: طيب ما تعملها العملية من غير بنج.

البيطري: ماهو دا اللي بفكر فيه بس هيكون فيه ألم جامد، وهتكون حاسة بكل حاجة.

سامح: أنا مايهمنيش الكلام ده، أهم حاجة نعمل العملية.

د. محمد: تمام تمام، ثم صاح: منصور عندك حبل؟؟

أجاب منصور: عندي يا دكتور عايز حبل طخين ولا رفيع؟؟

د.محمد: هات حبل رفيع بس يكون طويل علشان نعرف نكتفها كويس.

بحث منصور في بعض الكراكيب في أحد أركان الغرفة ثم أخرج الحبل المنشود.

قيدوا به المسكينة بإحكام في الطاولة، ثم وضعوا حول فمها رباطا من الشاش.

وجه د.محمد كلامه لسامح قائلا: إطلع انت يلا علشان أنا هاشتغل وانت ما بتستحملش شكل الدم.

رد سامح قائلا: أيوا أنا هاخرج أقعد في العربية.

ثم أخرج هاتفه من جيبه وناوله منى قائلا:

- صوري بيه علشان كاميرا تليفونك مش حلوة، وابعتي الصور لأمل بعد ما تخلصوا علشان تنزل على الحسابات، محتاجين فلوس.

أخرج د.محمد أدوات الجراحة الخاصة به من حقيبته، ثم ارتدى قفازا أزرق اللون وسحب مشرطا جديدا وابتدأ في بتر رجل المسكينة.

مع أول ضربة من مشرطه، ارتجفت الأم بشدة، وحال دون صريخها رباط الشاش الملفوف حول فمها فأصدرت أنينا مكتوما ينم عن ألم رهيب.

صاح البيطري في منصور قائلا:

- ما تمسك معايا يا ابني، ثبتها كويس خليني أعرف اشتغل.

نفذ منصور تعليمات البيطري وعيناه مغرورقتان بالدموع على هذه المسكينة المتألمة.

كلما غاص مشرط البيطري في لحم الأم زاد ألمها وعلا أنينها وانتفض جسدها، أما البيطري نفسه، فقد بدا متعرقا، حانسا، اختفى لون قفازه الأزرق بعد أن صبغته الدماء بلونها.

وكلما زاد ارتباكه، علا صراخه وصياحه على العامل الذي لا حول له ولا قوة.

في الجهة المقابلة للطاولة تقف منى منشغلة بالتصوير غير آبهة لما يحدث حتى رن هاتف سامح في يدها، فرفضت المكالمة واستكملت التصوير.

رن الهاتف مجددا، فرفضت المكالمة مرة أخرى ثم أردفت:

- ما خلاص يا ست زفتة مش عارفة اصور.

رن الهاتف للمرة الثالثة، لكنه إشعار رسالة هذه المرة، فأخذها الفضول فأوقفت التصوير، وقرأت الرسالة ثم توجهت للبيطري قائلة:

- ممكن تمليني رقمك يا دكتور محمد؟؟ خليني أبعته للزفتة دي ونخلص من زنها؟

- هيا مين يا منى؟؟ سألها د.محمد

- واحدة تبع سامح عايزة دكتور. أجابت منى.

صرخات الأم المكتومة تتعالى، وانتفاضات جسدها تشتد، والدماء تغمر الطاولة.

في الخارج يقف الصغير ملتصقا بالباب وهيكتور بجواره وخلفهما تجمع عدد من نزلاء الملجأ، الأصوات القادمة من داخل الغرفة ترعبهم، تجعل الظنون تدور داخل رؤوسهم متسائلين: ماذا يفعلون بها؟؟!!

الجميع مشدوهون والصغير يرتعد وتنهمر دموعه، فأنين أمه يمزق قلبه يملؤه الخوف والرجاء، تطوف روحه من أعلى المكان تشاهد الموقف على الأرض كطير محلق، وكأنما روح أخرى قد سحبت روحه واصطحبتها إلى السماء.

فجأة يتوقف صوت أنين الأم، فتهبط روح الصغير إلى جسده مرة أخرى، فيرى نظرات هيكتور المتوترة ويسمع همسات الجمع من خلفه ثم يحاول التنصت على الأصوات داخل الغرفة. فيسمع صوت منى وهي تقول:

- حرام عليك يا دكتور غرقتنا دم هوا ينفع كده؟؟

فيرد عليها البيطري منفعلا قائلا:

- أعملّك إيه يعني هوا أنا قصدى؟! منا كمان إتغرقت أكتر منك.

فيقطع منصور كلامهما قائلا بصوت مفزوع:

- الكلبة نفسها وقف يا دكتور.

فيرد عليه البيطري بمنتهى اللامبالاة والبرود قائلا:

- آه ما هي ماتت.

- ماتت؟!! يا نهار إسود.

قالت منى.. ثم نظرت إلى منصور فوجدته يبكي ورشات الدم تغطي وجهه، فصاحت فيه بصوت عال قائلة:

- منصور.. إطلع بسرعة نادي الأستاذ سامح من بره.

فأجابها: حاضر.

وخرج من باب الغرفة مرددا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت هذه الجملة تأكيد للواقفين خارج الغرفة على وفاة الأم، فأصابت الصغير نوبة بكاء شديدة تبعتها نوبة هستيرية أشد جعلته يركض مسرعا ذهابا وإيابا إلى غير وجهة محددة، بقي على ذلك فترة من الوقت، ثم أطلق صرخة عواء وسقط مغشيا عليه.

عاد منصور من الخارج مسرعا يتبعه سامح، دلف منصور إلى الغرفة الصغيرة وانتظر سامح أمام الباب، مد رأسه للداخل ثم سأل البيطري قائلا:

- إيه اللي حصل يا دكتور؟

أجاب البيطري ببروده المعتاد قائلا:

- شريان الفخذ إتقطع يا سامح وقلبها وقف من النزيف، هي أصلا كانت خلصانة

- قطعت الرجل طيب؟؟ سأله سامح.

- لسا ما كنتش لحقت أخلص. أجاب البيطري.

- طيب اقطعها يا دكتور، قال سامح.

صمت البيطري للحظة ثم سأله متعجبا:

- وإيه الفايدة؟؟!!

رد سامح غاضبا: ما تعمل اللي بقولك عليه يا دكتور، مش كفاية ماتت في إيدك؟! وبعدين يا سيدي كله بحسابه ما انت هتاخد فلوس.

استشاط البيطري غضبا وأخذت تعابير وجهه القبيح تزداد قبحا، وبأسلوب أشبه بالبلطجة صاح قائلا:

- جرى إيه يا عم سامح، إنت بتكلمني كدا ليه؟ ما انت سايبها بقالها أسبوعين بتموت من الغرغرينة اللي ضربت في جسمها!! دلوقتي ماتت في إيدي؟؟!!

ثم أكمل: يا عم خلاص خلينا نفض الشغلانة دي.

ثم خلع قفازاته الملطخة بالدماء وألقاها على الجثة، وابتدأ في لم أدواته.

غمز سامح بعينه لمنى التي تقف متفرجة، ثم أغلق باب الغرفة وخرج إلى سيارته.

داخل الغرفة بدأت منى في استخدام سحرها الخاص مع د.محمد قائلة:

- ما تزعلش يا دكتور، هوا سامح كده، لما بيشوف منظر الدم بيتعصب كأن العفاريت ركبته، دا أنا حتى مرة السكينة عورتني في صباعي وانا باقطع له تفاحة ونزل نقطة دم، لقيته هاج عليا زعيق وشتيمة كأني عملت حاجة غلط، بدل ما يقولي سلامتك أو معلش أو حتى يجيبلي قطنة أكتم بيها الدم. بس بعدها بشوية لقيته جاي يتأسفلي ويصالحني، والله هوا طيب بس العصبية دي غصب عنه.

نفث البيطري زفيرا قويا ثم قال بغضب:

- طيب ولا شرير لنفسه يا منى مش عليا، مش من حقه يكلمني بالأسلوب ده. هو أنا شغال عنده، مش كفاية مداري على بلاويه؟

- معلش يا دكتور حقك عليا، إهدا كدا وروق علشان تخلص العملية دي، وأكيد بعد ما تخلص هيكون هوا كمان هدي وراق ويعتذرلك.

قالت منى ثم نظرت في عينه نظرة مثيرة وقالت:

- إحنا ما نقدرش نستغنى عنك يا دكتور.

تنهد د.محمد ثم قال: أستغفر الله العظيم، حاضر يا ستي علشان خاطرك إنتي بس.

ارتدى البيطري قفازا جديدا وأكمل مجزرته، وقطع رجل الجثة الهامدة التي لم يرحموها حية ولا ميتة.

في الخارج تجمع عدد من سجناء الملجأ حول الصغير المغشي عليه منهم من يبكي شفقة عليه، ومنهم من يراقب في صمت، ومنهم من يحاول إفاقته.

وسط أصوات الحشد ظهر صوت هيكتور مدويا: اتركوه، اتركوه، سيفيق من نفسه، لقد كانت الصدمة شديدة عليه، فقط افسحوا له المجال حتى يستطيع التنفس، ابتعدوا قليلا، ابتعدوا. ثم تحشرج صوته وخر باكيا.

خرج منصور من الغرفة ليخبر سامح أن البيطري قد انتهى من قطع الرجل فسأله سامح: خيط مكان القطع ولفه بشاش؟؟

منصور: لا يا أستاذ سامح، قطع الرجل بس.

سامح: طيب ادخل قوله ينظف مكان العملية ويلفه بشاش وبلاستر كأن الكلبة لسا عايشة.

سأله منصور مندهشا: ليه يا أستاذ سامح؟!

أجابه سامح غاضبا: وانت مال أهلك؟ ما تسمع الكلام وخلاص إنت هتتفلسف انت كمان؟، واسمع، لما يخلص نضف الترابيزة كويس ولو جسم الكلبة عليه دم نضفه.

ظهرت علامات الغضب على وجه منصور وكاد لسانه ينطلق، لكنه كظم غيظه حتى لا يخسر مصدر دخله وانصرف من أمام سامح دون أن ينطق بكلمة واحدة.

وقف سامح خارج الغرفة، وفي الداخل شرع د.محمد في جمع أدواته، وابتدأ منصور تنظيف المكان.

فتحت منى باب الغرفة خارجة فسألها سامح قائلا: صورتي اللي حصل يا منى؟

- طبعا صورت، بس مش هينفع نتزل حاجة زي كدا على السوشيال. أجابت منى.

فقاطعها سامح قائلا: أنا عارف إنه مش هينفع، علشان كدا قولتلهم ينضفوا الأوضة كويس ويلفوا الجرح.

ثم أردف: بعد ما يخلصوا صوري كام صورة كويسين كدا وابعتهم لسارة وانا هاكلمها أقولها تعمل إيه.

خرج البيطري من الغرفة ونظر إلى سامح باستياء ثم قال:

- ممكن تديني حسابي علشان أمشي؟!

حاول سامح تلطيف الأجواء معه، فنظر إليه بابتسامة صفراء ثم قال:

- ما تزعلش يا دكتور، أنا بس منظر الدم بيعصبني.

ثم أكملت منى مدافعة عنه: مش أنا قولتلك يا دكتور إن قلبه طيب.

وأردفت موجهة كلامها لسامح: خلاص يا سامح دكتور محمد مش زعلان أنا فهمته طبعك الزفت. ثم ضحكت.

- طبعا احنا ما نقدرش نستغنى عن الدكتور محمد يا منى. قال سامح.

يبدو أن كلامهما لم يرق البيطري الذي رد عليهما بانفعال وغضب وصوت محتقن قائلا: اسمع يا عم سامح دا آخر شغل لينا مع بعض.

فقاطعه سامح قائلا: طيب إهدا يا دكتور ويوم ولا اتنين كدا على ما تكون روقت وهديت ولينا قاعدة مع بعض إن شاء الله.

ثم أخرج مبلغا من المال من جيبه وأعطاه للبيطري وسأله: جبت الأكل اللي طلبته منك؟؟

- أيوا. في شنطة العربية. خلي حد ييجي ياخده، أجاب البيطري.

صاح سامح على العامل منصور: منصور لو خلصت جوا تعالى هات شيكارة الأكل من عربية الدكتور.

انصرف د.محمد حاملا حقيبته، يتبعه منصور في ضيق وكمد من أوامر سامح التي لا تنتهي.

نظر سامح إلى منى ثم قال: المتخلف دا عايش الدور وفاكر نفسه دكتور بجد!! دا ما فيش حالة حط إيده فيها غير وماتت، ادخلي صوري يلا خلينا نمشي من هنا.

عاد منصور من خارج الملجأ حاملا كيس الأكل، ووقف مواجها لسامح ثم سأله: أحط للكلاب منه؟؟

أجابه سامح قائلا: إوعى تمد إيدك عليه، دا تخبيه في الأوضة وما تجيش ناحيته، وبعد كدا لما اقولك على حاجة تعملها وما تتصرفش من دماغك.

- قصدك إيه يا أستاذ سامح؟؟! سأله منصور.

- قصدي على شيكارة العيش الناقصة اللي أكلتها للكلاب من دماغك كده.

- وانا كنت هاعمل إيه يا أستاذ سامح، الكلاب كانت هتموت بعضها من قلة الأكل. قال منصور.

علا صوت سامح واحتدت نبرته قائلا: يا أخي ما يموتوا ولا يروحوا في مصيبة كلهم، إنت مال أمك؟؟

طرح منصور الأكل أرضا، ثم اقترب من سامح وقال منفعلا: معاك حق يا أستاذ سامح، بس كله إلا الغلط وخصوصا الغلط بالأم.

نظر إليه سامح بلا مبالاة ثم صرخ قائلا: منى يلا علشان إتأخرنا.

ثم توجه نحو الباب خارجا تتبعه منى.

راقبهما منصور حتى ركبا السيارة، ثم انهال عليه بسيل من السباب بأبشع الألفاظ.

* * *

داخل شقة سمر

على السرير في غرفة نومها يرقد د.محمد شبه عارٍ وبجانبه تمددت سمر متكئة على صدره تداعب خصلات شعرة الأجعد.

قوام سمر الممشوق ولون جسدها الخمري، يجعلان شهوته لا تنطفئ ويده لا تكف عن تحسس مكامن شهوتها.

بعد مطالعة طالت في جسدها المثير، نظر إلى عينيها ثم سألها:

- إنتي كنتي غايبة عني فين؟؟

ضحكت سمر ضحكة رقيعة ثم أجابته قائلة:

- مع اللي أشد منك يا دكتور.

فسارعها البيطري بالرد قائلا:

- أنا ما فيش أشد مني يا حبيبتي هوا إنتي لسا شوفتي حاجة.

ثم تابع قائلا:

أنا باشكر القطط اللي عرفتني بيكى. أنا قبلك جالي ناس كتير من بتوع إنقاذ القطط، بس ما كنتش بتعامل معاهم ولا بادبهم وش، آخرهم كان من شهر تقريبا جاتني واحدة وكانت مصممة إني أشتغل معاها وأساعدها في علاج وعمليات القطط المنقذة، لأنها بتصرف عليهم كتير والدكاترة بيستغلوها وهي سمعت إن أسعاري كويسة.

قاطعته سمر سائلة:

- مين دي يا دكتور؟ اسمها إيه؟

أجابها البيطري قائلا:

- تقريبا اسمها نجوى، منتقبة وعندها لدغة في حرف السين.

- ما تعرفش ساكنة فين؟؟ سألته سمر.

- أظن في مدينة نصر، بس أنا ما اعرفش فين بالتحديد لأني ما روحتلهاش، قال د. محمد.

ضحكت سمر ثم قالت:

- كويس إنك ما روحتلهاش.

سألها البيطري متعجبا:

- ليه؟!! هو إنتي تعرفها؟؟!

- طبعا أعرفها، اسمها نوجا محمود.

- طيب وإيه مشكلتها يعني؟ وليه كويس إني ما روحتلهاش؟؟ سأل البيطري.

- لأن ببساطة كده، دي سكتها اللي يروح ما يرجعش. قالت سمر ثم ضحكت ساخرة.

اعتدل د.محمد جالسا ثم قال:

- لأ استني كدا واحكيلي واحدة واحدة دي إيه حكايتها بالظبط؟

حركت سمر يدها على صدره مداعبة ثم قالت:

- هو احنا هنقضيها حكاوي طول الليل يا دكتور؟!

ضحك د. محمد وأمسك يدها التي تداعب صدره ثم قبلها وقال:

- لأ مش هنقضيها حكاوي، بس الفضول واخدني أعرف إيه حكاية المنقبة دي.

ردت سمر قائلة:

- طيب هاحكيلك بس دي هتبقى آخر حكاية، الفجر قرب يطلع.

أبدى د. محمد موافقته عن طريق قبلة على شفتها أتبعها بكلمة: اتفقنا.

- بص يا سيدي، نوجا دي واحدة تبع الإخوان المسلمين، وجوزها مقبوض عليه في المظاهرات اللي كانوا بيعملوها ومحكوم عليه ب١٥ سنة سجن، وهي عاملة موضوع الإنقاذ دا لسببين:

السبب الأول، علشان تلم فلوس تبرعات وتدبها للجماعة علشان يقدروا يصرفوا على أسر المساجين بتوعهم، والجماعة كلفتها هي مخصوص بكدا علشان هي مش مخلفة وعندها مكان وعندها وقت فراغ.

والسبب التاني علشان تقدر تستقبل ناس من الإخوان في بيتها أو تروح لهم بيوتهم بحجة القطط.

قاطعها د. محمد سائلا:

- طيب وإنتي عرفتي المعلومات دي ازاي؟؟

- أصلها كانت صاحبتي، وبعدين فجأة لقيتها بتكلمني من رقم غير رقمها، ولما سألتها ليه؟ قالتلي بأن تليفونها متراقب من أمن الدولة. وانا بصراحة لما قالتلي كدا قولت لنفسي أكيد بيتها كمان متراقب، وهي شخصيا أكيد كل تحركاتها متراقبة، فقطعت معاها لدرجة إني ما بقتش حتى برد على اتصالتها، أنا حياتي مش ناقصة مشاكل.

- يا نهار مش فايت طيب كويس انك قولتيلي. قال البيطري.

داخل الملجأ

فتح عينيه وجال بهما في المكان فرأى الجميع متحلقين حوله، ونظراتهم تحمل شفقة ظاهرة.

لقد أفاق... لقد أفاق يا عمي هيكتور. قالها أحدهم.

فأتى هيكتور من بعيد يشق طريقه وسط الجموع مرددا: أفسحوا لي، أفسحوا لي الطريق.

تفرق الموجودون فاتحين طريقا للعجوز حتى وصل إلى منتصف الحلقة حيث يرقد الصغير، فاقترب منه ثم سأله: كيف حالك الآن يا صغيري؟؟

نظر إليه الصغير بكسرة ثم انفجر باكيا.

- هون عليك يا بني وهلم معي كي نجلس في زاويتنا. قالها هيكتور.

حاول الصغير الوقوف حتى يسير مع هيكتور فلم يتمكن من ذلك، لقد خارت قواه أو ربما أصيب بشلل مؤقت بفعل الصدمة.

من بعيد وقف منصور مراقبا متعجبا من تجمعهم، فذهب ليستكشف ما يحدث، فاقترب منهم ثم قال: امشوا يلا، وسعوا، امشوا هناك، انتوا ملمومين على إيه؟؟!! وحاول تفريق تجمعهم حتى تمكن من إبعادهم، عندما وقعت عينه على الصغير في وضعه المزري تملكته الشفقة وصاح بصوت مختنق قائلا: لا حول ولا قوة إلا بالله إنت هتموت انت كمان؟؟!

ثم اقترب منه محاولا تحفيزه على السير فلم يستطع الصغير فاضطر منصور إلى حمله وسار به إلى زاوية هيكتور الذي سبقهما، ثم وضعه على الأرض وذهب لبضع دقائق وعاد بوعاء فيه ماء وضعه أمام الصغير ثم انصرف.

- اشرب يا بني، احتسِ حتى جرعة واحدة من أجلي. قالها هيكتور مرتجيا الصغير حتى أقنعه بشرب الماء.

* * *

في شقة سمر

صوت هاتف مزعج لا ينقطع رنينه أيقظ النائمين في العسل، فانتفض البيطري من مرقده سابًا المتصل قائلا:

- ما خلاص يا ابن الكلب انت، هي القيامة هتقوم!!

ثم تناول هاتفه وكتم صوته وعاد إلى حضن سمر الدافئ.

- مين الرخم اللي بيتصل ده؟؟ سألته سمر.

- مش عارف دا رقم عمال يتصل عليا من امبارح، اتصل ييجي ١٠٠ مرة وانا في العملية، والتليفون كان في العربية ما شوفتهوش غير لما خلصت.

لم يكمل البيطري كلامه، حتى رن الهاتف مجددا بنفس الرقم.

- رد يا دكتور يمكن فيه حاجة مهمة. قالت سمر.

ضغط على الزر مستقبلا المكالمة ووضع الهاتف على أذنه ثم قال:

أيوا معاكي د.محمد.

معلش كان عندي عملية ومخدتش بالي.

فين مكانك؟

طيب حاضر إن شاء الله.

لا لا مش هتأخر.

مع السلامة.

- خير في حاجه؟؟ سألته سمر.

- لأ دي واحدة عندها كلب تعبان في التجمع وعايزاني أروح أكشف عليه.

- طيب يلا قوم علشان ما تتأخرش على شغلك.

- لأ خليني معاكي شوية، لسا بدري وملحقتش أشبع منك.

- كل دا ولسا ما شبعتش يا دكتور؟!

سألته سمر بلهجة مثيرة.

- هوا إنتي يتشبع منك يا سموره، أنا لو عليا ما انزلش من على السرير دا خالص.

ضحكت سمر ضحكة رقيعة، ثم قالت:

- طيب يلا قوم علشان عايزة أطلع أأكل القطط، وعندي كام مشوار عايزة اخلصهم.

سألها البيطري:

- طيب وهنتقابل تاني إمتى؟

- هارتب معاك قريب علشان تيجي تطعم ٥ قطط عندي وتديهم حبوب الديدان، وإيه رأيك بعد ما تلبس هدومك، أصورك كام صورة كدا وانت بتكشف على القطط واعمل بهم كام بومست كويسين يجبولنا قرشين حلوين.

قالت سمر.

- تصدقي فكرة كويسه، إنتي دماغك سم.

قالها البيطري محاولا إرضاء غرورها.

ثم أردف:

- وأنا هادخل أكتبلك كام تعليق كويسين يشغلوا البوستات.

- طيب يلا قوم البس، عقبال ما اطلع كام قطة تتصور معاهم.

قالت سمر.

* * *

داخل الملجأ

في ركنهما المنزوي يجلس الصغير بجوار هيكتور وقد أغرقته دموعه، بصوت هزيل مختلط بأنين وبكاء قال:

- لا أصدق أنني لن أرى أمي مجددا، ليتهم تركوها دون جراحة، مجرد وجودها أمامي كان يطمئنني ويهون علي حياتي في هذا المكان البغيض.

- أشعر بوجعك يا بني لكنها، لكنها كانت تعاني، لقد اشتد عليها المرض وأظنها ارتاحت من آلامها، والموت هو نهايتنا الحتمية.

قالها هيكتور.

- لم أعد أتحمل البقاء هنا يا عمي، كل شيء سيذكرني بأمي ومعاناتها، أريد الخروج من هنا، قالها الصغير صارخا حتى ملأ عواؤه الفضاء.

ربت هيكتور رأسه قائلا:

- اهدأ يا بني، حتما سيأتي اليوم الذي نخرج فيه من هنا، حتى وإن لم يمتد بي العمر لتلك اللحظة فمن المؤكد أنه سيمتد بك.

ثم نظر إليه فوجده يغفو وكأن الحزن وكثرة البكاء قد أنهكا قوته، فاقترب منه وضمه حتى يطمئن وينام.

اقترب أحد نزلاء الملجأ كي يطمئن على حال الصغير فرأى هيكتور يبكي، فسأله:

- هل تبكي يا هيكتور؟ هل الصغير بخير؟

- نعم إنه بخير. أجاب هيكتور

- إذن لماذا تبكي؟؟

مسح هيكتور دموعه ثم قال:

- أبكي على حال هذا الصغير، لقد ذكرني بنفسي عندم ماتت أمي، لكن موت أمي كان أشد قسوة وأكثر إيلاما.

أثارت كلمات هيكتور فضول النزيل فسأله:

- وكيف ماتت أمك؟

انهمرت دموع هيكتور بغزارة مجددا، فسارعه النزيل بالاعتذار قائلا:

- آسف يا هيكتور لم أقصد أبدا تقليب مواجعك وتجديد أحزانك.

- على العكس، ربما أرتاح لو أزحت عن قلبي هذا الحمل المفجع من الذكريات بالحكي لك. قالها هيكتور.

- إذن كلي آذان صاغية، قالها النزيل.

- حسنا سأحكي لك.

في صباح يوم شتوي انتظرنا شروق الشمس حتى نستدفئ بأشعتها وننام بعد ليلة شديدة البرودة، لكن ذلك الصباح كان مختلفا، فالغيوم السوداء كانت لا تنبئ بطلوع الشمس، الشوارع كانت خالية من المارة والسيارات على غير العادة، وكأن عتمة الغيوم جعلت الناس يخطئون طلوع النهار. كانت هناك أصوات فرقعات تأتينا من بعيد وتقترب كلما مر الوقت وأمي متوترة أو خائفة من شيء مجهول لم ترد أن تخبرنا ما هو وقتها. فجأة رأينا أصدقاء أمي يفرون مذعورين.

فسألتهم أمي:

- هل هم؟؟

فأجابتها إحدى الفارين قائلة:

- نعم هم، اهربي بسرعة.

هرولت أمي بضع خطوات بعيدا عنا وكأن قدوم المجهولين أنساها أولادها. توقفت ثم عادت إلينا وقالت: اركضوا خلفي بسرعة.

ركضنا خلفها لكن أحد إخوتي لم يقدر على اللحاق بنا، فقد كان أضعفنا. فتوقفت أمي مجددا وعادت إليه، فعدنا خلفها.

في هذه اللحظة أتت سيارة مسرعة وتوقفت بالقرب منا تحمل رجلين في صندوقها فضلا عمن كانوا بداخلها.

ترجل الرجلان وركضا نحونا، وكان أحدهما يحمل في يده شيئا يشبه العصا.

تخبطت أمي وكأن عقلها قد شل، تهرب أم تبقى؟ حتى استقرت على البقاء، أحاطتنا حتى تخبئنا تحت جسدها المنتفض.

اقترب الرجلان منا أكثر ثم أشار أحدهما بالعصا في يده نحو رأس أمي، فانطلق منها صوت فرقعة صمت آذاننا لثوان، سمعنا بعدها صرخة أمي قبل أن ترتمي على الأرض والدماء تسيل من رأسها.

توقف الزمن عند هذه اللحظة وكأن كل شيء تجمد وغاب إدراكي من هول ما حدث.

تمنيت أن يوجه الرجل سلاحه نحوي بعد أمي، ولكنه ولسوء حظي لم يفعل.

فعندما هم بحشو سلاحه بطلقة جديدة، أوقفه الآخر قائلا: دول لسا صغيرين مش هيعرفوا يعضوا حد، ما تخلصلناش الخرطوش على الفاضي خليهم لما يكبروا وهنجيلهم تاني، هم هيروحوا فين؟!

ثم انصرفا.

انخرط هيكتور في نوبة من البكاء شاركه فيها النزيل الذي تأثر بهذه الحكاية المأساوية، فقطع بكاءهما الصغيرُ الذي استيقظ منتفضا مرددا:

- أمي، أمي، أمي.

* * *

في التجمع الخامس

دخل دكتور محمد إلى فيلا مهيبة، تبدو من موقعها وكبر مساحتها وفخامة حديقتها أنها لأحد علية القوم.

سار قاطعا الحديقة الأمامية حتى وصل إلى الحديقة الخلفية عن طريق ممر جانبي، هناك أقيمت مجموعة من الغرف الصغيرة ذات أبواب حديدية.

طلب منه الحارس الذي أوصله ذلك المكان الانتظار، فجلس على أريكة مواجهة لتلك الغرف ولم يمض وقت طويل حتى سمع صوتا من خلفه يقول:

- أهلا وسهلا يا دكتور محمد نورتنا.

التفت البيطري فوجد شابة ثلاثينية أنثوية الملامح، رجولية الملبس وقصة الشعر، تقف خلفه، فهب واقفا مرحبا بها:

- أهلا بحضرتك يا أستاذة شذى.

- حضرتك تعرفني يا دكتور؟! سألته شذى مبتهجة.

- طبعا أعرفك، مصر كلها تعرفك، فيديوهاتك مالية السوشيال ميديا ولقاءاتك في برامج التوك شو معظم الناس شافتها، حضرتك شخصية عامة يا أستاذة شذى.

ضحكت شذى ثم أردفت: شكرا يا دكتور كلك ذوق، أنا عندي كلب حالته صعبة جدا، عربية خبطته في الشارع أول امبارح وكان عنده نزيف في

الرئة، ووديته العيادة وقتها والدكتور قال لازم ياخد علاج ٥ أيام، ورفض يخليه عنده في العيادة علشان كلب شارع. وانا صعب عليا أوديه واجيبه كل يوم لأن مشوار العيادة بعيد عليا وخايفة جدا عليه ليموت، فواحدة صاحبتي إديتني رقمك وشكريتلي فيك وقالت إن حضرتك بتقدر تيجي تعالج في البيت.

- طيب العيادة عملت له أشعة على الرئة؟ سأل البيطري.

- أيوا يا دكتور عملوله، ثواني أجيبها لحضرتك.

طالع البيطري الأشعة ثم قال:

- بسيطة إن شاء الله، هاديله علاج النهاردة وهاجي كل يوم أتابع معاه لحد ما يبقى كويس إن شاء الله.

استبشرت شذى ثم قالت:

- يا ريت يا دكتور الله يخليك، أنا عايزاه يخف علشان اخده أوديه الشلتر، سمعت عن شلتر كويس في طريق العبور صاحبه اسمه سامح وصاحبتي بتشكر فيه جدا.

انفجر البيطري ضاحكا بمجرد سماعه لاسم سامح.

تعجبت شذى من ضحكه المفاجئ ثم سألته:

- خير يا دكتور إيه اللي بيضحك في الموضوع؟؟

لم ينس البيطري ما حدث من سامح وقت عملية البتر، لم يستطيع أن يتجاوز إهانة سامح له، وربما الآن هي فرصة ذهبية للانتقام من سامح، فإخبار شذى خالد بحقيقة ما يدور في الملجأ كفيل بتدمير سامح وملجأه بل كل حياته.

صمت البيطري قليلا ثم قال:

- سوري ما اقصدش حاجة بالضحك والله، بس لما سمعت حضرتك بتقولي شلتر كويس وبتاع سامح ما قدرتش أسيطر على ضحكتي.

أثار كلامه فضول شذى فسألته باندهاش كبير:

- ليه يا دكتور؟

رسم د. محمد ملامح الحزن على وجهه ثم قال بنبرة بائسة:

- والله ما عارف اقولك إيه ولا إيه، بس المكان دا أكبر مقبرة للكلاب، ولو إنتي مستغنية عن الكلب ده، وديه هناك.

صمت برهة ثم أردف:

- أنا رأيي لو رجعتيه الشارع هيكون أفضل مليون مرة من الشلتر ده.

نزل كلام البيطري على شذى كالصاعقة فارتسمت على وجهها ملامح غضب ممزوجة بدهشة ثم سألت البيطري:

- إنت تعرف المكان كويس يا دكتور؟

- طبعا، وكنت الدكتور بتاعهم لحد من يومين بس.

لكن أنا أعرف واحدة صاحبتي بتشكر في المكان دا جدا وبتقول إن صاحبه بيحب الكلاب بشكل غير عادي وبهتم بهم ومش مخلي الشلتر ناقصة حاجة. قالت شذى

- هههههه، مين؟ سامح؟!!!

ضحك البيطري متعجبا ثم أتبع:

- دا أكبر نصاب في الدنيا وأهم حاجة عنده يلم فلوس تبرعات حتى لو كل الكلاب اللي في الملجأ ماتت من الجوع.

ردت شذى باهتمام بالغ:

- غريبة يا دكتور، طيب حضرتك تعرف مكان الملجأ؟؟ أحسن يكون قصدك على مكان تاني.

في محاولة منها لمعرفة مكان الملجأ بطريقة ذكية.

لكن البيطري كان أذكى منها فسارعها بالرد:

- طبعا عارف مكانه، استني ابعتلك اللوكيشن بتاعه أفضل.

فهو بذلك قد وضع سامح في ورطة حقيقية.

- يلا تساعديني نكشف على الكلب يا أستاذة شذى؟؟ أستاذة شذى؟ أستاذة شذى؟؟؟؟!!!!

- ها ها، سوري يا دكتور سرحت في حاجة معلش، أوك يلا اتفضل.

أنهى البيطري كشفه وأعطى الكلب علاجه ورتب موعد الغد مع شذى ثم انصرف وتركها شاردة بأفكارها بعيدا بسبب كلامه.

على الفور أخرجت هاتفها وأجرت اتصالا ثم انتظرت قليلا لتتحدث قائلة:

- إنتي فين؟

لازم تجيلي حالا فيه مصيبة

لأ يا هايدي حالا دا موضوع ما ينفعش يتأجل

أنا في البيت مستنياكى

متتاخريش

باي باي..

* * *

داخل الملجأ

- إنه ثالث يوم يمر عليك يا بني ولم تأكل شيئا لقد حاول العامل الطيب معك كثيرا لكن دون جدوى. هلا أطعتني وأكلت كسرة صغيرة من ذلك الخبز، إنني أعلم مدى حزنك وأعلم أن فقدك كبير لكنك لا يجب أن تدع حزنك ينتصر عليك.

- ليس لي رغبة في الطعام يا عمي هيكتور، حتى النظر إليه يشعرني بالغثيان. قال الصغير.

- إذن يا بني دعنا نبرم اتفاقا.

- اتفاق!! وما هو الاتفاق يا عمي. سأل الصغير متعجبا.

- دعني قبل أن أخبرك عن الاتفاق أسألك سؤالا؟

- اسأل كما شئت يا عمي.

- هل ما زلت ترغب في معرفة لماذا يطلقون عليا هيكتور؟

- بالطبع أريد أن أعرف. أجاب الصغير.

- إذن يا بني إليك الاتفاق، سأحكي لك سر تسميتي بهذا الاسم في مقابل أن تأكل طعامك.

- لكنى لا أرغب حقا في الأكل. قال الصغير.

- لكن يا صغيري، هذا هو الاتفاق. هل تقبله أم ترفضه؟

سكت الصغير لفترة طويلة أوحت لهيكتور كم الحزن الهائل داخل هذا المسكين.

لم تكن هذه الفكرة التي طرحها هيكتور لحث الصغير على الأكل فقط، لكنه أراد أيضا أن يشغله بحكاياته لإخراجه من هذا الحزن المسيطر عليه.

بعد صمته الطويل أجاب الصغير: موافق ولكن بشرط.

ضحك هيكتور ثم سأله:

- وما هو شرطك يا صديقي؟؟ من الآن لن أناديك صغيري فالصغار لا يفرضون شروطا، هيا أخبرني.

ابتسم الصغير لأول مرة منذ أيام ثم قال:

- سوف آكل قطعة صغيرة من الخبز الآن ثم أكمله بعدما تنتهي من إخباري سر اسمك.

ضحك العجوز ثم قال:

- حسنا اتفقنا سأحكي لك. في أحد الأيام كنا نبحث عن الطعام أنا وإخوتي، يجول كل منا في مكان بالقرب من أسوار الفلل والقصور وصناديق القمامة، علنا نجد شيئا نأكله في قمامة هؤلاء البشر الأغنياء.

قاطعه الصغير سائلا:

- هل توقفت أمكم عن إحضار الطعام لكم يا عمي؟؟

تلعثم هيكتور وصمت قليلا فهو لا يريد أن ينكأ جراح الصغير بإخباره بموت أمه، فاضطر للكذب عليه قائلا:

- نعم توقفت فقد أصبحنا كبارا وطلبت منا أن نعتمد على أنفسنا في البحث عن الطعام. وبينما أنا أبحث التقط أنفي رائحة طعام تأتي من داخل إحدى الفيلات، تسللت متتبعا الرائحة حتى وصلت إلى باب الفيلا

فوجدته مفتوحا قليلا والرائحة تزداد قوة وتكاد تسيطر علي تماما، لكني تذكرت تجربتي مع الكلب الباسكي فتسمرت في مكاني فعلي أن آخذ حذري هذه المرة. راقبت فناء الفيلا من بعيد لوقت طويل فلم ألحظ وجود أي كلاب بالداخل، فشجعني ذلك وجوعي على التسرب داخلا من فتحة الباب الصغيرة. تتبعت أنفي رائحة الطعام حتى وصلت إلى طبق كبير مملوء بعظام الدجاج التي لم تجرد من كامل لحمها. انقضضت على الطبق ألتهم العظام في نهم حتى أن إصوات تهشمها تحت أسناني منعتني من سماع خطواته ويبدو أنه قد أطال الوقوف خلفي يراقبني وأنا آكل.

وفجأة صاح طفل قائلا: الله الكلب دا حلو أوي، جبته منين يا عمو فرج؟؟

فأصابنى الذعر والتفتّ ناظرا خلفي فإذا بفرج يقف على مقربة مني والصبي يقف بالقرب من الباب. دون أي تفكير مني ركضت ناحية الباب مسرعا لكن الصبي كان أسرع مني وأغلق الباب قبل أن أصل إليه. ركضت هنا وهناك على أمل أن أجد مخرجا من خلال السور الحديدي ولكن دون جدوى، حاولت مرارا الفرار للخارج من أى منفذ لكني استسلمت للواقع عندما سمعت الصبي يقول للحارس:

- أنا هربيه يا عمو فرج ويبقى كلبي، شكله حلو أوي.

- بس إنت عارف يا بودي إن باباك مش هيوافق علشان ما بيحبش الكلاب. قال الحارس.

- ما أنا مش هاقوله يا عمو فرج وهاحط الكلب فوق في الروف علشان بابا ما يشوفهوش. قال الصبي.

- خلاص انت حر يا بودي بس لو باباك عرف وسألني هاقوله إنك جبته من ورايا وإني ما اعرفش إنه موجود. قال الحارس.

دار هذا الحوار أمامي، وقتها فقط يا بني فكرت في أن هذه الحياة ربما تكون أفضل كثيرا من حياة الشارع، فسوف أنال اهتماما في كل شيء، لن أجوع ولن يهددني أحد ولن أخشى من شيء هنا. لقد راقتني الفكرة فاطمأننت بعد ذعري وعدت إلى طبق الطعام أستكمل أكلي ونظراتي متربصة تراقب بودي والحارس.

اقترب مني الصبي محاولا لمسي بيده ففزعت وهربت بعيدا فلاحقني قائلا: ما تخافش تعالى ما تجريش. فجعلتني كلماته وبراءة وجهه أكف عن الهرب منه، مد الصبي يده ببطء ومسح بها على رأسي فشعرت بخوف في البداية وحاولت الابتعاد ولكن سرعان ما اطمأننت ووقفت عندما كررها ثانية. لقد تعلقت كثيرا بهذا الصبي وصرت أتبعه في كل مكان وكنت لا أكف عن العواء عندما يتركني بمفردي في الروف. كنت أتمنى أن يبقى معي معظم الوقت، كان يقدم لي الطعام ثلاث مرات يوميا ، واشترى لي بعض الألعاب وقام بغسلي بالماء والصابون، رغم أنني كرهت هذا جدا فالجو كان باردا جدا والشمس لا تظهر إلا لحظات وتغيب ساعات لكني سعدت بهذا كثيرا بعد أن تبدلت رائحتي وهدأت حكة جلدي الذي نظف من أوساخه.

كانت حياتي عند بودي منعمة لأقصى حد حتى إن جسدي النحيل قد امتلأ وارتفع طولي واشتد نباحي، الحياة كانت هنيئة وهينة وكان الصبي رائعا معي حتى ظهيرة ذات يوم قدم إلي وبرفقته مجموعة من الصبية في

نفس عمره أحدهم ضخم الحجم ويبدو أكبر سنا منهم. اقتربوا مني ثم أشار بودي إلي وقال لهم: هي دي المفاجأة ،،، إيه رأيكم؟؟

فرد جميعهم مذهولين بصوت واحد: الله دا كلب حلو أوي. ثم سألوه: جبته منين يا بودي؟؟

- هوا اللي جالنا لوحده، وانا أخدته وطلعته هنا علشان بابا ما يشوفهوش. أجاب بودي.

اقتربت من بودي أهز ذيلي متوجسا من رفقائه، فانحنى ومسح على جسدي وقال: ما تخافش دول أصحابي.

سأله أحدهم: سميته إيه يا بودي؟؟

- لسا ما سميتهوش. أجاب بودي

- لازم تسميه علشان يتعود على الاسم من صغره ويعرف نفسه.

قالها آخر ثم أردف: إيه رأيك تسميه ريكس؟

ضحك أضخم الصبية وقال: ريكس دا اسم قديم أووي، وأمن بودي على كلامه قائلا: أيوا، ريكس مش حلو.

حتى أنا لم يعجبني وقتها اسم ريكس هههههه. قال العجوز.

صمت الجميع محاولين إيجاد اسم، حتى قال الصبي الضخم: سميه هيكتور يا بودي.

- الله حلو أوي اسم هيكتور لايق عليه.

قال بودي ثم رددوا جميعا خلفه: أيوا اسم حلو جدا خلاص اسمه هيكتور.

نظرت إليهم وهززت ذيلي مبديا إعجابي بالاسم، لقد راقني بالفعل.

اقترب مني الصبي الضخم ثم قال بصوت مرتفع: هيكتور، سيت.

فنظرت إليه ببلاهة محركا ذيلي يمينا ويسارا، فكرر الصبي الضخم ما قاله وأنا ما زلت على نفس بلاهتي فالتفت الصبي الضخم إلى بودي قائلا: دا مش متدرب يا بودي.

- طيب أدربه ازاي؟؟ سأله بودي

- سهلة جدا.

قال الصبي الضخم ثم أردف: تقوله يعمل حاجة ولو ما عملهاش تضربه، استنى اوريك ازاي، ثم دار في الروف حتى التقط عصا خشبية وقدم إلي حتى وقف أمامي ثم كرر كلماته بصوت أكثر ارتفاعا قائلا: هيكتور سيت. فلم يتغير وضعي عما سبق، فإذا بالصبي الضخم ينهال علي ضربا بالعصا الخشبية بأشد ما عنده حتى جعلني أركض بأسرع ما عندي وصراخي لم ينقطع وهو ورائي يلاحقني مرددا: سيت سيت، سيت، وأصدقاؤه منهمكون في الضحك علي.

كانت لحظات صادمة لي فلم أستوعب وقتها لماذا يضربني الصبي بهذا العنف، لم يرحمني منه سوى صوت أحدهم يقول: المستر وصل يلا ننزل بسرعة.

لم يؤلمني الضرب كثيرا ولكن ما آلمني بشدة أن بودي رآني أتألم ولم يمنع صديقه عني، بل على العكس كان يشاركهم الضحك. حسبت أنها لحظات قاسية ستذهب بلا رجعة وستعود حياتي مع بودي هنيئة مرة أخرى سريعا. لكن للأسف فكرة الصبي الضخم الشيطانية لاقت رواجا

كبيرا لدى بودي الذي حضر بعد انتهاء درسه ممسكا عصا خشبية بيده وابتدأ في تدريبي على النحو الذي علمه إياه صديقه الضخم.

ضربت ثم ضربت حتى تورم جسدي وعشت جحيما لا ينتهي على مدار شهر كامل، أضرب كل يوم لساعات طويلة دون أن أفهم ماذا يريد مني، حتى أوصلني ذلك لكره بودي الذي كنت أحبه.

صمت هيكتور برهة وكأن ذكرياته المؤلمة قد أمسكت لسانه فقطع الصغير صمته قائلا:

- أكمل يا عمي هيكتور فأنا مستمتع جدا بما تحكي، فحياتك تصلح أن تكون فيلما سينمائيا حزينا هههههه

ضحك هيكتور فرحا بضحكة الصغير الذي ابتدأ يخرج من حزنه على موت أمه، ثم أردف: سأكمل لك ولكن بعد أن تنفذ اتفاقنا وتكمل طعامك.

قال الصغير: ظننتك نسيت أيها العجوز ثم ضحك.

- لا لم أنس يا صديقي ويجب أن تأكل الآن.

- نعم سآكل لقد بدأت أشعر بالجوع. قال الصغير.

تبسم هيكتور ودفع الخبز بيده أمام الصغير الذي شرع في التهام الطعام.

❊ ❊ ❊

داخل فيلا شذى

دخلت هايدي مذعورة فشاهدت شذى في جانب الحديقة، توجهت إليها مسرعة ثم سألتها:

- فيه إيه يا بنتي؟؟ إيه اللي حصل؟؟

- فيه مصيبة.

قالت شذى ثم أردفت:

- إنتي دفعتي فلوس قد إيه للزفت اللي اسمه سامح؟

- زفت؟؟!! ليه بتقولي عليه كده؟ سألتها هايدي مندهشة.

شذى: لإنه نصاب وزبالة.

هايدي: أنا مش فاهمة حاجة!! عمل إيه علشان كل ده؟؟!

شذى: البيه طلع عامل الشلتر علشان يلم تبرعات وينصب على الناس، وسايب الكلاب من غير أكل لحد ما بيموتوا من الجوع.

هايدي: مين قالك الكلام الفاضي ده؟!! سامح دا ابن ناس وإنسان محترم جدا.

شذى: دكتور محمد اللي ماسك الشلتر هو اللي قالّي.

هايدي: إنتي قابلتيه فين؟؟

شذى: لسا ماشي من عندي دلوقتي وعلى فكرا هو ما يعرفش إني أعرف سامح، كلامه كان بالصدفة.

هايدي: لأ يا شذى سامح مستحيل يكون بيعمل كده، أكيد الدكتور دا بيكذب، أنا هاتصل بسامح أسأله الدكتور بيقول كدا ليه.

شذى: لأ استنى ما تتصليش بيه، إحنا هنروح نشوف بنفسنا.

هايدي: هنروح!! هو إنتي تعرفي مكان الشلتر؟؟

شذى: أيوا، الدكتور بعتلي اللوكيشن بتاعه، يلا بينا هنروح دلوقتي حالا.

هايدي: طيب خليني أكلم سامح يقابلنا هناك.

شذى: لأ لأ لما نروح ونشوف الأول وبعدين نكلمه، يلا بسرعة يا هايدي، أنا من ساعة ما سمعت كلام الدكتور وانا ضغطي عالي.

* * *

داخل الملجأ

أنهى الصغير طعامه تاركا كسرة من الخبز لم يأكلها، فنظر هيكتور إلى كسرة الخبز قائلا:

- كل طعامك يا بني، فظني أننا لن نأكل مرة أخرى قريبا، لقد سمعت الحارس يقول بأن هذا آخر طعام متوفر عنده.

- ولكنني شبعت يا عمي هيكتور. قالها الصغير.

- حسنا يا بني سأخبئها لك حتى إذا جعت أكلتها.

نظر الصغير بسعادة لهيكتور ثم قال:

- ألن تكمل لي يا عمي؟؟ هلا أخبرتني ماذا فعل بودي معك بعد محاولات تدريبك؟

- بالطبع يا صغيري سأخبرك، ذات يوم بينما بودي منهمك في ضربي وترديد بعض الكلمات التي لم أكن أفهمها وقتها مثل سيت، ستاي وكاتش.

- وماذا تعني هذه الكلمات يا عمي؟؟ قاطعه الصغير سائلا.

- إنها تعني أوامر لي بالجلوس والهجوم كما علمت بعد ذلك وهي جزء من التدريب. في هذا اليوم كان صراخي عاليا فقد أوغل الفتى في ضربي، دخل علينا الروف فجأة والد بودي ويبدو أنه سمع صراخي من الأسفل فصعد ليستكشف ماذا يحدث. حين رأى الفتى أباه ارتعد وألقى العصا أرضا. سأله والده منفعلا:

- إيه دا يا بودي؟

- دا كلب يا بابي. أجاب الصبي.

- منا عارف إنه زفت، إيه اللي جابه هنا؟

- جالنا لوحده يا بابي، دخل من باب الفيلا وانا أخدته علشان أربيه.

- مش أنا قولت ممنوع الكلاب في البيت؟! واتكلمنا قبل كدا في الموضوع ده؟ الكلب دا يمشى من البيت حالا، ويلا انزل علشان مدرسك تحت مستنيك.

بكى الفتى وصار خلف والده نازلا، أما أنا فكانت هذه اللحظة من أكثر لحظات حياتي حيرة، انتابني الفرح لأنني سأتخلص أخيرا من حصة الضرب والتعذيب اليومية، لكن شعوري بالحزن والخوف من المستقبل المجهول والعودة إلى الشارع كان أقوى.

- إنه فعلا شعور محير.

قال الصغير ثم أردف: لكن ماذا حدث بعد ذلك يا عمي؟

مر وقت ليس بالطويل حتى صعد بودي إلى الروف ثانية ومعه أصدقاؤه، اقترب مني الفتى الضخم ثم قال:

- تعال يا هيكتور.

ومد يده نحوي وحملني ثم نظر إلى بودي وقال:

- شكرا يا بودي، ولما تحب تلعب معاه ابقى تعالى عندي.

وقتها أدركت أن الفتى الضخم سيأخذني إلى بيته، فأصابتني الفكرة بالخوف، يا ترى ماذا سيفعل بي وكيف ستكون حياتي عنده؟؟!!

ركبنا سيارته التي قادها سائقه الخاص حتى وصلنا إلى منزله الكبير، الأضخم من بيت بودي عندما رأيت حديقته الواسعة شعرت بالارتياح،

حاولت أن أمني نفسي بحياة سعيدة في بيت الفتى الضخم، لكن ما حدث لي كان عكس ما تمنيت.

- وماذا حدث لك في هذا البيت الجديد يا عمي هيكتور؟؟ سأله الصغير.

- سأحكي لك يا بني ولكن دعني أرتاح قليلا، فقد أجهدني الجوع.

- هلا أكلت كسرة الخبز المتبقية يا عمي لتسد بها جوعك، قال الصغير.

- لا يا بني إنها لك، فأنا يمكنني التحمل أما أنت فما زلت صغيرا وتحتاج الطعام ولا نعلم متى سنأكل مجددا.

صمت الاثنان، وفجأة كسر الصمت دوي طرق قوي على الباب الحديدي للملجأ فانتبه الجميع.

زاد دوي الطرق، فقاموا من رقودهم شاخصي الأبصار تجاه الباب متحفزين على أمل أن يكون أحد أحضر لهم الطعام.

خرج منصور منزعجا من الغرفة الصغيرة بجوار الباب مرددا:

- مين اللي بيخبط؟؟!! أيوا يا اللي بتخبط!!

فتح الباب الصغير فإذا بشذى وهايدي تدفعانه بقوة وتدخلان إلى الملجأ.

نظرت شذى في أرجاء الملجأ فهالها بشاعة المكان ورائحته النتنة، أطباق الماء وأواني الطعام الفارغة، حالة النزلاء المزرية.

نظرت إلى منصور والغضب يفيض من عينيها ثم سألته بصوت عال أشبه بالصراخ:

- دا شلتر سامح؟؟ الدكتور محمد هو اللي بيكشف على الكلاب دي؟؟

بصوت مرتعد بسبب صراخها أجابها منصور:

- أيوا دا شلتر الأستاذ سامح.

نظرت شذى إلى هايدي المصدومة من هول ما شاهدت بعينها ثم قالت:

- صدقتي يا ست هايدي، أنا قولتلك من الأول إنه نصاب وشكله ما يطمنش.

أجابتها دموع هايدي التي خنقت صوتها فلم تستطع التكلم، فربما كانت تعلق آمالا كثيرة على علاقتها بسامح، وربما قد وقعت في غرامه، فما كان لفتاة ثرية مثلها أن تذرف هذه الدموع ندما على المبلغ الذي دفعته لسامح، ولكن أغلب الظن أن قلبها قد جرح.

دارت شذى في المكان تتخطى الكلاب المنهكة، تحاذر في مشيتها حتى لا تغوص أقدامها في الفضلات التي تملؤ الأرض وليس على لسانها كلام غير حسبي الله ونعم الوكيل، يا كفرة،، يا ولاد الكلب.

ترددها بصوت عال سمعه القاصي والداني.

راحت وجاءت في ساحة الملجأ ثم عادت حيث تقف هايدي متسمرة والعامل المرتعد، ثم وجهت كلامها لمنصور سائلة:

- الأوضة دي فيها إيه؟؟

- ما فيهاش حاجة يا أستاذة، أنا بنام فيها. أجابها منصور بخوف شديد.

- أومال بتحطوا أكل الكلاب فين؟؟ سألته هايدي مجددا.

- باحطه جوا في الأوضه، بس الأكل خلصان بقاله يومين وبكلم الأستاذ سامح علشان يجيبلهم أكل ما بيردش عليا.

- طيب افتح وريني فيه إيه جوا في الأوضة. قالت شذى بغضب.

فتح منصور الباب فاندفعت شذى داخله، دارت عيناها داخل الغرفة الصغيرة فوقعت على شكارة الأكل الجاف، هرولت سريعا ورفعت شيكارة الأكل ثم وجهت كلامها لمنصور قائلة بانفعال شديد:

- أومال دا إيه يا كداب انت؟؟ إنت مخبي الأكل ليه؟؟ إنت بتبيعه يا حرامي وتسيب الكلاب تموت من الجوع؟؟

اغتاظ الفتى الصعيدي من اتهاماتها له، فانتفخت أوداجه وصاح بصوت جهوري قائلا:

- إنتي بتشتميني ليه يا ست انتي، دا مش أكلهم أصلا، قولتلك أكلهم خلصان.

صمتت شذى لثوانٍ ثم قالت:

- مش أكلهم ازاى يعني؟!! أكلك انت مثلا؟؟

رد منصور بغيظ كبير قائلا:

- قصدك إيه يعني؟!! إني كلب؟!! الله يسامحك، والله لولا إنك حرمة لكنت دفنتك مطرحك.

أثار رد منصور المنفعل حفيظة هايدي المصدومة فمسحت دموعها ووجهت إليه الكلام سائلة:

- إنت بتكلمها ليه كدا يا ابني؟؟ أسلوبك مش محترم ليه؟؟

أجاب منصور بغضب قائلا:

- هي اللي عمالة تغلط فيا يا أستاذة، وقولتلها كذا مرة دا مش أكل الكلاب، الكلاب بنأكلها عيش ناشف، لكن شيكارة الأكل دي جابها الأستاذ سامح وقالي شيلها عندك في الأوضة واوعى تأكل الكلاب منها.

صدمت كلمات العامل الفتاتين وردتا بصوت واحد: عيش ناشف!!!!

- اتصلي يا هايدي بالكلب دا هزقيه. قالت شذى ثم توجهت إلى منصور قائلة:

- وانت روح لِم أطباق الأكل دي وافتح الشيكارة وحطلهم، واغسل أطباق المية واملاها.

- مش هينفع يا أستاذة أفتح شيكارة الأكل غير لما أكلم الأستاذ سامح أسأله، لو عملت كدا من غير ما اقوله هيبهدلني.

ردت عليه شذى بحدة: ملكش دعوة انت افتحها وانا هاجيب لك واحدة تانية بدالها، وهو اصلا الزفت النصاب دا هيكون ليه عين يتكلم؟؟!!

روح بسرعة هات الأطباق، إتحرك يا بني آدم.

بمنتهى الهمة والسرعة ملأت شذى أطباق الطعام التي أحضرها العامل، ثم تقدمت وسط الجموع التي وقفت متأهبة بعدما اشتمت رائحة الطعام.

وضعت الأطباق أمامهم وأخذت تمسح على أجسادهم الهزيلة مرددة:

- يا حبايبي، دول كأنهم ما أكلوش من سنين، لا حول ولا قوة إلا بالله، منه لله الكافر اللي ما عندهوش دين.

بجانب الباب ما زالت هايدي تقف مشدوهة، لم تفق بعد من ذهولها وصدمتها التي أفقدتها الشعور بما يجري حولها.

* * *

داخل شقتة الفارهة

يجلس سامح متكئا على أريكته ومقابله تجلس منى، منهمكين في التحدث عن حجم التبرعات التي جمعوها، ونسبة منى منه، ونسبة أمل مسؤولة الدعاية على مواقع التواصل الاجتماعي.

قطع حديثهما رنين هاتف سامح للمرة الخامسة على التوالي.

سألته منى:

- هو برضه؟

أجاب سامح منفعلا:

- عيل صعيدي غبي مش عارف عايز إيه؟!!

- طيب ما ترد عليه يا سامح ليكون حصل حاجة. قالت منى.

- هتلاقيه عايز أكل للكلاب، أكلهم خلص من يومين وانا مش هاعرف اروح النهاردة عندي حاجات أهم من الكلاب اعملها.

رن الهاتف مجددا. فنفث سامح زفيرا قويا وتناول هاتفه ثم أجاب بصوت عال غاضب:

- عايز إيه يا ابني عمال ترن ترن؟؟؟ إيه اللي جرى لكل ده؟؟

مين دول؟؟

ودخلتهم ليه يا غبي من غير ما تكلمني؟

يعني إيه دخلوا غصب عنك يا حيوان انت عرفت أسامبهم؟؟

شذى وهايدي!!

روح الله يخرب بيتك، أنا حسابي معاك بعدين.

ثم أغلق هاتفه وانهال بالسباب بأسوأ العبارات على العامل وشذى وهايدي.

ارتبكت منى وسألته بصوت خائف:

- فيه إيه يا سامح؟ إيه اللي حصل؟؟

- فيه مصيبة.

أجاب سامح ثم ألقى هاتفه بقوة فارتطم بالأرض وأظلمت شاشته.

- يا ساتر، طيب إهدا شوية علشان أعصابك. قالت منى.

- أهدا؟!! أهدا ازاى؟؟!! إحنا كدا اتخرب بيتنا.

- طيب احكيلى إيه اللي حصل يا سامح.

تنهد سامح بقوة ثم قال:

- شذى خالد وهايدي راحوا الشلتر والغبي اللي اسمه منصور دخلهم، ولقوا الكلاب من غير أكل ولا ميه، وفتحوا كيس الأكل وحطوه للكلاب.

- وانت زعلان كل الزعل ده علشان كيس الأكل؟؟!! قالت منى.

- كيس أكل إيه يا متخلفة إنتي كمان؟، هو أنا ربنا واعدني بشوية معاتيه شغالين معايا!!

قالها سامح بصوت غاضب ثم ألحق ريموت التكييف بالهاتف فتكسر تماما. صمت قليلا، ثم ضرب كفيه بعضهما ببعض بعنف وقال:

- أنا هاتجنن،، إزاي أصلا عرفوا مكان الشلتر؟؟!! مين اللي دلهم على المكان؟؟ وليه ما اتصلوش عليا قبل ما يروحوا؟؟!! يكون الدكتور محمد؟؟ بس الدكتور محمد ما يعرفهومش أصلا. أجاب سامح على نفسه.

- مين اللي قال إنه ما يعرفهومش؟؟ سألته منى.

فسألها سامح غاضبا:

- قصدك إيه يا منى؟؟

- قصدي إن هايدي طلبت رقم الدكتور محمد وانا اديتهولها. قالت منى.

صمت سامح لفترة محاولا استيعاب ما سمعه للتو، ثم اقترب من منى قائلا:

- قولى تاني كدا، عيدي كلامك تاني.

وغضبه يزداد ونبرة صوته تعلو.

انكمشت منى داخل الكرسى الذي تجلس عليه، وزاد خوفها من انفعال سامح ثم قالت:

- واحنا بنعمل العملية للكلبة اللي ماتت أنا كنت بصور فيديو بتليفونك وهايدي قعدت ترن كتير كذا مرة ورا بعض فكنت بكنسل عليها علشان الفيديو ما يقطعش، لما كنسلت عليها كتير بعتت على الواتساب إنها عايزه رقم الدكتور بتاع الملجأ ضروري، فبعتهولها ونسيت أقولك..

على الفور انقض سامح عليها، وأمسك ذراعيها بقوة ثم أطلق من فمه أشد أنواع السباب وختم سبابه بسحب منى من الكرسى الذي تجلس عليه ودفعها تجاه الباب مرددا: امشي اطلعي برا مش عايز اشوف وشك تاني.

ارتطمت منى بالحائط من قوة دفعته، فصاحت عليه غاضبة:

- ما تزقش كدا يا حيوان انت.

- حيوان مين يا بنت الكلب انتي!!

قالها سامح ثم انقض عليها مرة أخرى وسحبها بإحدى يديه وبالأخرى فتح باب الشقة ورماها خارجا، وصاح قائلا:

- غوري من هنا.

ثم أغلق الباب بعنف شديد كاد يقتلعه من مكانه.

التقط هاتفه وحاول إعادة تشغيله لكن دون فائدة، فتناول مفتاح سيارته وهرول خارجا من الشقة هو الآخر.

* * *

داخل الملجأ

- لقد كان طعاما جيدا، لم أتذوقه منذ زمن طويل. قال هيكتور.

- نعم يا عمي رائحته زكية وطعمه طيب جدا، لكني لسوء حظي لم أكن جائعا للدرجة، أتمنى أن تأتي السيدتان كل يوم لإطعامنا.

- لقد ذكرني هذا الطعام بحياتي في بيت الفتى الضخم. قال هيكتور.

- على ذكر الفتى الضخم، ألن تكمل لي حكايتك معه يا عمي هيكتور، أم ما زلت مجهدا؟

- بالطبع يا بني سأكمل لك، لقد وضعني الفتى الضخم في الحديقة الواسعة ووضع لي بيتا خشبيا كبيرا في إحدى زواياها، ثم ابتدأ تدريبي كما فعل بودي من قبل، ولكنه ابتكر أساليب جديدة لتعذيبي لكي أتدرب؛ فتارة يقوم بضربي، وتارة يقوم بتجويعي وتارة أخرى يقوم بحبسي في غرفة مظلمة لأوقات طويلة، ثم أدركت بعد فترة من تعذيبي أن قيامي ببعض الحركات كالجلوس ومد يدي والنوم على جانبي تجعله يكف عن تعذيبي، وأن نباحي واظهار شراستي تجعله سعيدا وفخورا بي لدرجة أنه يدللني ويقدم لي المكافآت، فتحولت شخصيتي لا إراديا ورغم صغر سني إلى تابع شرس للفتى الضخم، يخيف بي أصدقاءه ويطارد بي قطط الشارع التي تتسلل إلى الحديقة، لدرجة أنه كف عن تعذيبي تماما، فقد جعله تغير سلوكي إلى العدوانية يتخيل أنه نجح في تدريبي.

maktabbah.blogspot.com

لقد زاد اهتمامه بي بدرجة كبيرة، حتى أصبح يطعمني عدد مرات أكثر، ويقدم لي أنواعا شهية من الطعام حتى كبر حجمي بشكل متسارع، في البداية ظننت أن هذا الاهتمام زيادة في حبه لي، حتى سمعته ذات يوم يتحدث إلى أحدهم في الهاتف ويقول له: ما تقلقش أنا باكله كتير جدا وبغذيه علشان لما ييجي يوم المضاربة يقدر يغلب همر.

لم أكن أفهم عما يتحدث، أو مع من يتحدث، حتى جاء هذا اليوم الموعود واجتمع أصدقاؤه ومعهم بودي، فحفزني الفتى الضخم على استعراض شراستي أمام أصدقائه، فقمت أنبح وأحاول الهجوم عليهم، وهم منبهرون بما وصلت إليه بعد التدريب حتى قال بودي: هيكتور بقى جامد أوي دا هيموت همر.

همر مجددا، من يكون همر هذا؟؟ دارت استفسارات كثيرة في داخلي، يا ترى من يكون همر هذا؟!! حتى أجاب على كل هذه الأسئلة دخول فتى يكبرهم في العمر من باب الحديقة ممسكا بيده رباط كلب ضخم الحجم، قوي العضلات، يكبرني في السن من نوع بيتبول يسير بجواره.

بمجرد اقترابهما سارع الفتية إليهما لإلقاء السلام على صاحب الكلب متوقفين على بعد منه خوفا من همر الذي جن جنونه عندما رآني.

اقتربوا جميعا مني، وهمر يجذب صاحبه بكل ما أوتي من قوة لكي يصل إلي، مكشرا لي عن أنيابه ولعابه يسيل من فمه.

لقد ذكرني هذا الموقف بما حدث قديما مع الكلب الهاسكي، فأخذت حذري وتحفزت لهجومه عليّ في حال أفلت من يد صاحبه.

maktabbah.blogspot.com

نظر صاحب همر إلى الفتى الضخم ثم قال: يلا نبدأ؟ فأجابة الأخير: يلا.

تحلق الفتية حولي. ثم على حين غفلة مني أفلت صديقهم همر الذي انطلق نحوي كسهم خرج من قوسه. قبض على يدي اليسرى بفكيه الثقيلين فأحسست بتهشم عظامي تحت أضراسه ونفاذ أنيابه في لحمي.

حاولت مقاومته فلم أستطع. فقمت بعضه في أماكن متفرقة من جسده على أمل أن تجعله آلام العض يفك قضمته لكن دون جدوى.

فشلت جميع محاولاتي لمجاراته بسبب ضخامة حجمه وقوة عضلاته، فلم أجد حلا سوى الصراخ واستجداء الأطفال الذين انقسموا إلى فريقين يشجع كل فريق منهما أحدنا. تعالت صرخاتي. وابتدأت الدماء تسيل من يدي وهذا المفترس همر يزيد من قضمته كلما استشعر طعم دمي في فمه.

ازداد ألمي وتسارعت أنفاسي وارتبكت ضربات قلبي حتى أحسست بالأرض تدور بي ومن حولي ثم غبت عن الوعي.

نظر الصغير بائسا إلى هيكتور ثم قال: من الواضح أن الألم كان قويا لدرجة جعلتك تفقد الوعي.

- نعم يا بني لقد أفقت من إغمائي لأجدني لا أشعر بيدي ولا أستطيع الوقوف عليها، ولم أجد أحدا حولي فقد غادروا جميعا. أتذكر أنني قد امتنعت عن تناول الطعام والشراب وقتها لأكثر من يوم بسبب حزني الذي تحول إلى اكتئاب جراء ما حدث لي. بعد مرور ثلاثة أيام من المضاربة انتفخت يدي بشدة وعاودت الآلام بشكل أقوى وارتفعت حرارتي حتى وصلت حد الحمى. ثم بدأ قيح كريه الرائحة يخرج من يدي المنتفخة

maktabbah.blogspot.com

جذبت رائحته المنتنة الذباب حول يدي وعلبها دون أي مقاومة مني بعدما اشتدت علي الحمى وأردتني طريحا.

- وأين كان الفتى الضخم منك طيلة هذه المدة؟ سأل الصغير.

- لم يطّلع علي إلا بعد أسبوع من المضاربة، عندما أخبره الحارس أني توقفت عن تناول الطعام وأن رائحة جرحي أصبحت نتنة، فرأيته يأتي من بعيد ثم اقترب مني إلى حد معين ووضع يده مكممًا بها أنفه، وصاح متأففا: إيه القرف ده، ريحته معفنة أوي. ثم صاح على الحارس وقال له: ارم هيكتور برا خلاص أنا مش عايزه.

وعلى الفور تلثم الحارس بوشاح حتى لا يشم رائحة جروحي النتنة ثم رفعني بقسوة وألقاني خارج أسوار المنزل.

بقيت طريح الشارع مدة لم أحددها من شدة تعبي، وساءت حالة جراحي حتى جعلت الناس تتجنب المرور قربي من بشاعة منظرها، حتى إن كلاب الشارع كانت تنفر من رائحتها الكريهة إذا اقتربت مني.

ذات صباح اقترب مني شابان، في البداية تأففا من الرائحة، لكنهما تقدما نحوي وأدخلاني في صندوق كبير وحملاني معهما داخل سيارتهما ثم انطلقا.

بعد نصف ساعة تقريبا من القيادة، وصلنا إلى عيادة بيطرية أمضيت فيها ما يقرب من الشهر حتى تعافيت بعد عملية بتر يدي.

- ليت هذين الشابين كانا موجودين حين مرضت أمي. قالها الصغير الذي اغرورقت عيناه بالدموع.

maktabbah.blogspot.com

- مجرد أقدار يا بني ليس لنا فيها شأن ولا نعلم إلى أين ستأخذنا. لقد وضعوني في ملجأ بعد إخراجي من العيادة قضيت فيه فترة من الزمن ثم هربت منه بعد أن تركونا بدون طعام أو ماء لمدة أسبوع كامل، ولم أعلم حينها هل كنا محظوظين أن وجدنا فتحة في سور الملجأ نخرج من خلالها، أم أنهم تركوها قصدا حتى نتمكن من الهرب حتى لا يتحملوا مسؤوليتنا لوقت أطول.

عدت إلى الشارع مجددا حرا طليقا، أكافح للحصول على طعامي بحثا في مخلفات البشر، أفر من الموت مرات عدة كل يوم، فإن لم يكن تحت عجلات سيارة، كان في قطعة لحم مسمومة، أو طلقة خرطوش يطلقها علي موظف مأمور طمعا في حافز مادي فوق راتبه.

قضيت بضع سنوات من عمري على هذا الحال، يرهقني السير لمسافات طويلة يوميا على ثلاثة أطراف بحثا عن الطعام. لكني على الرغم من ذلك كنت سعيدا بحريتي، مرتاحا هانئ البال.

نظر الصغير إليه ثم سأله:

- هل تعتقد يا عمي هيكتور أننا لو خرجنا من هنا يوما ما سأستطيع الحياة بالخارج؟؟ أتظن أنني سأندمج سريعا في حياة لم أختبرها من قبل؟؟! أم أني قد تعودت العيش داخل الأسوار؟؟

- في الحقيقة لا أعلم يا بني كيف سيكون شعورك، ولكني أظن أنه سيكون أفضل من شعورك بالحبس في هذا المكان المزري.

maktabbah.blogspot.com

قطع حديث العجوز اندفاع سامح داخلا من باب الملجأ، محدثا ضجة كبيرة وصراخا مستمرا مناديا: منصووووور.

خرج منصور من الغرفة الصغيرة مصروعا: فصوت سامح كان عاليا جدا:

- حمد لله على السلامة يا أستاذ سامح. قالها منصور مرتعدا عندما رأى الشر باديا على وجه سامح.

- إزاي يا حيوان انت تدخل البنات من غير ما أقولك؟؟ سأله سامح بصوت عال غاضب

- والله يا أستاذ سامح أنا لسا بافتح الباب أشوف مين بيخبط، راحوا زقين الباب وداخلين بالعافية.

- ماهو انت لو راجل مكنوش دخلوا بالعافية. قال سامح ثم أردف سائلا منصور: وعملوا إيه لما دخلوا؟؟

- حطوا أكل للكلاب وواحدة منهم صورت الملجأ ومشيوا. أجاب منصور.

- صورت!!

رددها سامح بصوت مشحون، ثم اقترب من منصور قائلا:

- اسمع ياد يا صعيدي انت، ادخل لم هلاهيلك اللي جوا، وخد بعضك وغور من قدامي قبل ما افقد أعصابي واتهور عليك.

- أغور؟؟!! يعني بتطردني من الجنة يا خي؟. دا أنا هارتاح من الشغلانة المهببة دي، بس أنا ليا باقي حساب عندك. اديهولي قبل ما امشي. قال منصور.

maktabbah.blogspot.com

- حساب إيه يا معفن اللي عايزه، دا أنا المفروض اخد منك تمن كيس الأكل اللي فتحته. امشي غور من قدامي أحسن أقسم بالله اوديك في مصيبة. قال سامح.

- أنا مش هامشي غير لما آخد فلوسي. قالها منصور غاضبا.

- طيب إيه رأيك بقى مش هتاخد ولا قرش؟ ولا هتاخد حاجاتك اللي جوا.

قال سامح ثم دفع "منصور" بقوة عدة دفعات نحو الباب حتى أخرجه وأغلق باب الملجأ ثم أطلق العنان للسانه بسيل من السباب كعادته.

في الخارج حاول منصور استجداءه من خلف الباب الحديدي دون جدوى، فقام بطرق الباب بقوة دون استجابة من سامح الذي جلس القرفصاء في ظل أحد جدران الملجأ صامتا سارحا في عالم آخر.

استمر منصور وقتا على هذا الحال، ثم توقف الطرق واختفى صوته وكأنه غادر المكان.

* * *

بيت الحكمة
maktabbah.blogspot.com

داخل منزل شذى

هايدي منهارة في بكاء مستمر لا ينقطع وشذى تحاول مواساتها قائلة:

- خلاص يا هايدي ما تعمليش في نفسك كدا، المبلغ اللي دفعتيه ما يستاهلش كل ده.

توقفت هايدي عن البكاء لبرهة ثم قالت:

- فلوس إيه يا شذى اللي هاعيط علشانها؟، أنا مش زعلانة علشان الفلوس.

- طيب لو زعلانة علشان الكلاب، ما تخافيش أنا دلوقتي هاعمل بوست على الفيسبوك هافضح سامح فيه، وأكيد جمعيات الرفق هيروحوا ياخدوا الكلاب ويحطوهم في ملاجئ محترمة.

قالت شذى.

زاد بكاء هايدي ونحيبها، فتعجبت شذى من بكائها وسألتها:

- يعني لا على الفلوس ولا على الكلاب، أومال زعلانه ليه؟؟

نظرت إليها هايدي بأسى ثم قالت:

- أنا حبيته يا شذى. ثم انهمكت في البكاء.

صدمت شذى من ردها، فصمتت لبرهة ثم قالت:

- يخرب بيت جنانك، دا واحد تحبيه؟!! يا بنتي دا شخص زبالة ونصاب.

maktabbah.blogspot.com

علا أنين هايدي وتفجرت دموعها بغزارة، فلم تجد شذى طريقة لتهدئتها غير احتضانها بقوة ثم قالت:

- معلش يا حبيبتي أنا عارفة إنك مصدومة فيه، بس الحمد لله إنه ظهر على حقيقته دلوقتي، قبل ما يكون بينكم ارتباط أو حاجة رسمية، وأنا هاعرف أجيبلك حقك من الكلب دا كويس.

صمتت ثواني ثم أردفت:

- كلب، لأ خسارة نقول عليه كلب، الكلاب أنضف منه، دا أحقر مخلوق على الأرض. علشان خاطرى إهدي بقى وروقي، وأنا هاقوم دلوقتي أعمل للزفت دا شوية بوستات في جروبات السوشيال أخرب بهم بيته، واخلي الناس تعرف حقيقته القذرة.

أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF
تابعونا على الموقع الرسمي
www.maktabbah.blogspot.com
أو على قناة التيليجرام
t.me/alanbyawardmsr

داخل الملجأ

غادر سامح. وهدأت الأمور وساد الصمت أرجاء المكان ولم يمر وقت طويل حتى فتح الباب ودخل منصور مجددا، ويبدو أنه كان يراقب المكان من بعيد منتظرا خروج سامح.

دلف إلى الغرفة الصغيرة، غاب فيها وقتا قصيرا ثم خرج حاملا أغراضه. توقف عند الباب الكبير محدثا نفسه:

- أنا ماليش باقي حساب؟!. دا أنا هاندمك على الكلام ده.

ثم قام بفتح الباب الكبير على مصراعيه، وترجل وسط جموع الكلاب وصاح بأعلى صوت: يلا اطلعوا يلا اهربوا. امشوا من هنا وانفدوا بحياتكم. سامح هيموتكم من الجوع. يلا امشوا.

تحرك منصور بينهم كالمجنون الهائج. لم يكن يفعل ذلك عطفا على هؤلاء المساكين، ولكن نكاية في سامح الذي أهان كرامته وحرمه حقه. تحفز جميع النزلاء فقام الراقدون، واستيقظ النائمون وأعين الجميع مسلطة على الباب الكبير المفتوح. لكن دون أن يتحرك أحدهم من مكانه. يبدو أنهم غير مصدقين أو غير مستوعبين للموقف!

زاد منصور من صراخه وحاول دفع بعضهم تجاه الباب. حتى اقترب أحدهم ببطء من الباب ثم توقف، طالع يمينا ويسارا مترددا في الخروج وكأنه خائف من تخطي عتبة الملجأ كما لو أن السجن أصبح حدودا في العقل وليس حدودا في المكان. استغرق الأمر بضع دقائق حتى حسم أول

maktabbah.blogspot.com

الخارجين أمره، وفر هاربا من حدود العقل والمكان فرحا بحريته فتبعته بقية الكلاب على دفعات متتالية كأمواج البحر المتتابعة، حتى خرجوا جميعا.

أما منصور فقد تحول صراخه وسط ساحة الملجأ الخالية إلى ضحك هستيري وكأن لوثة ما قد أصابته.

تفرق الهاربون في اتجاهات عدة، كل يحاول على قدر قوته أن يسرع خطاه ليبتعد أكبر قدر ممكن عن الملجأ.

تبدلت نظرات اليأس في أعينهم إلى نظرات أمل ممزوجة بخوف من مجهول آت، لكن الخوف من المجهول هو ثمن زهيد لحريتهم، وهذا ما جعل فرحتهم بالحرية تطغى على كل إحساس آخر.

في إحدى الطرقات سار هيكتور يرافقه صديقة الصغير، الذي يرى الحياة خارج أسوار الملجأ للمرة الأولى في حياته. يلتفت يمينا ويسارا، يتوقف حينا ويمشي حينا، تخيفه أصوات السيارات المسرعة، يدور حول هيكتور تارة وتارة أخرى يركض مسرعا ليبتعد عنه ثم يعود ليسير بجواره.

ارتسمت على وجهه ملامح فرحة هي الأولى من نوعها منذ أن ولد، يقفز ويثب وكأنه ولد من جديد في عالم آخر وحياة أخرى.

ابتعد عن هيكتور قليلا ثم عاد مواجها له حتى وقف أمامه وقال:

- كم أنا سعيد يا عمي هيكتور، لم تعد تحجزنا أسوار، ولا يحدنا مكان، الكون كله أصبح ملكا لنا.

maktabbah.blogspot.com

- نعم يا بني هذه هي الحرية، ولكن علينا في النهاية أن نختار بين حرية محفوفة بالمخاطر يترصدك فيها الموت كل صباح، وبين أسر قد يكون مذاقه أمر من الموت. هذا قدرنا يا بني: لأننا بلديون ليس لنا قيمة ولدنا في الشارع وسوف نموت فيه.

- هل تعتقد يا عمي أنه لو كنا ولدنا في شوارع بلد آخر كنا سننعم بحياة أفضل؟؟؟ سأل الصغير.

- ربما يا بني، وربما عشنا حياة أسوأ من حياتنا هنا، نذبح ونقدم كطعام على موائد البشر. العبرة يا بني ليست بالبلد، فالأرض واحدة، ولكن العبرة بالبشر. والبشر في بلادنا لا يعلمون من الرفق سوى جمع المال والشهرة. لا تفكر كثيرا يا بني، واستمتع بحريتك فقريبا سوف يباغتنا الأجل أو السجن في ملجأ جديد..

النهاية

٢٠١٩\٩\٩

بيت الحكمة
maktabbah.blogspot.com